

## الفصل الثالث: نِعَمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قال الله عز وجل ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِنَّهُ يُجَارُونَ﴾

[النحل ٥٣]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

[البقرة ٢٤٣]

فلا بد لمن أراد أن يكون من الشاكرين أن يدرك -بدايةً- أن الله -عز وجل- هو وحده صاحب النعم، وهو -وحده- المتفضل على عباده لا ينازعه في ذلك أحد، أي: أنه لا بد من أن يعرف المنعم -تبارك وتعالى- قبل أن ينشغل بمعرفة النعمة.

ثم بعد ذلك يسعى لمعرفة النعمة، ومما قيل في معرفة النعمة: [معرفة النعمة تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل، وشيم بروق المنة، والاعتبار بأهل البلاء<sup>(١)</sup>].

أي: أن العبد إن أراد أن يشاهد نعم الله مشاهدة حقيقية يتسنى له ذلك بثلاثة أمور؛ أولها: أن يُعْمَلَ عقله حتى ينير وينتبه لإدراك النعم التي قد لا يراها الكثيرون ولا يعيرونها اهتماماً، وثانيها: أن ينظر إلى تلك النعم ويظالمها، وثالثها: أن يعتبر بأهل البلاء الذين هم في بعد عن صراط الله المستقيم؛ ليحمد الله -عز وجل- أنه ليس منهم وليستشعر عظم نعمة ربه عليه.

(١) مدارج السالكين (١ / ١٦٢).

وبعد معرفته للنعمة فعليه أن يكون متذكراً على الدوام لتلك النعمة في كل حركاته وسكناته؛ مستشعراً أنه إنما يحيا بمنن ربه عليه في كل لحظة من لحظاته، وأنه لا غنى له عن ربه طرفة عين أو أقل من ذلك.

ولقد أمرنا ربنا -تبارك وتعالى- بتذكر نعمه علينا في العديد من الآيات القرآنية مثل قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر ٣]

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ\* لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف ١٢-١٣].

وهناك الكثير من الآيات المماثلة التي يذكر المولى -عز وجل- فيها نعمه على عباده ثم يأمرهم بتذكورها وشكرها.

### أنواع النعم

النعم ثلاث كما قال ابن القيم رحمه الله: [نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها؛ فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيئاً يقيد بها به حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووقفه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة وبصره بالطرق

التي تسدها وتقطع طريقها ووقفه لاحتياها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها<sup>(١)</sup>.

فالنعم منها ما يحيا به العبد، ويدركه تمام الإدراك، ويعلم به ويقره بقلبه ولسانه، ومنها نعم ينتظرها العبد ويرجوها، ويسعى لنيلها بالحلال الطيب ونعم يعيش المرء يتقلب فيها؛ لكنه لا يشعر بها ولا يقدرها من كثرة إلفه لتلك النعم، وقد لا يدركها إلا إذا سُلِّبَتْ منه.

وإن الله -عز وجل- إذا أراد أن يتم نعمته على العبد المؤمن جعله يدرك ما هو فيه من نعم حاضرة ووقفه لتأدية شكرها ووقاه المعاصي التي تزيلها، كما أنه يوقفه للأعمال الصالحة التي تجلب النعم المرجوة كما يعرفه -سبحانه وتعالى- ما هو فيه من نعم لا يدركها، ولا يقدرها حق قدرها، وذلك من فضل الله على عبده المؤمن.

### النعمة قد تكون للابتلاء

المؤمن كيس فطن، ومن رزقه الله الفطنة والعقل المستنير بالإيمان والعلم والفهم؛ فإنه يدرك أن النعم التي ينعم الله بها عليه ليست بالضرورة أن تكون سبباً في سعادته وجلب الخير له في الدنيا والآخرة، فقد ينعم الله -عز وجل- على عبده نعمه ليتليها وينظر -سبحانه- ما يفعل العبد بها، ولقد قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون ٥٥-٥٦].

فالنعمة قد تكون وبالاً على صاحبها إن هو أساء استقبالها واستخدامها، فمثلاً: المال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة، نعمة على من أنفقه في أوجه الخير فأطعم الفقراء وكفل الأيتام ووصل به رحمه، وساهم في إعمار الأرض، وفي فحضة أمته، ونقمة على من أنفقه على شهواته وعلى الرشوة وتعامل فيه بالربا وسعى بماله ليفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، فرغم أن المال هو المال في الحالتين، لكن الفرق كبير جداً بين الحالين.

وعلى العبد المؤمن أن يضع نصب عينيه دائماً أنه مسئول أمام ربه يوم الحساب عما أعطاه من نعم واستخلفه فيها، كما قال -عز وجل- في سورة التكاثر: ﴿ثُمَّ لَسُّنَانٍ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال: [إذا رأيت الله -عز وجل- يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

وعن محمد بن عبيد قال: إن بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم: كل نعمه لا تقرب من الله -عز وجل- فهي -بليّة<sup>(١)</sup>].

### وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

نعم الله -عز وجل- كثيرة لا يمكن للمخلوق أن يحصيها مهما اجتهد في ذلك؛ بل إنه بنص القرآن لا يقوى على أن يحصى نعمة واحدة منها؛ قال الله عز وجل:

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]

(١) صفة الصفوة (٢ / ١٥٧).

وقال سبحانه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم ٣٤]

فالله -عز وجل- نعمه فوق قدرة العباد على إحصائها؛ لذلك فهو يغفر لهم تقصيرهم في إدراك نعمه ما داموا يجتهدون في حدود طاقتهم وقدراتهم البشرية على شكر ما يستطيعون إدراكه.

وكان بعض العلماء يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل ١٨] [سبحان من لم يجعل لحد معرفة نعمة إلا العلم بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل لحد إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدرك فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكراً كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيماناً علماً منه أن العباد لا يتجاوزون ذلك<sup>(١)</sup>].

الله -عز وجل- أعلم بمن خلق ولا يكلف نفساً إلا وسعها؛ ولذلك فقد جعل أعلى درجة من درجات معرفة النعمة أن يدرك المرء تقصيره عن معرفتها، وأنه مهما بذل فلن يؤدي حقها لربه -عز وجل- وذلك هو عين الشكر، وكذلك الحال في العلم فجعل من تمام علم العالمين وتمام شكرهم لربهم على ذلك العلم أن يدركوا أنهم لا سبيل لهم لإدراكه -سبحانه- فهم لا يتجاوزون بعقولهم حدود الإيمان.

(١) عدة الصابرين ص ١٤٢

والشاهد أن على العبد المؤمن أن يسعى لمعرفة نعم الله، ويسعى لتأدية شكرها بقلبه ولسانه وجوارحه ولا يدخر وسعاً في ذلك؛ ولكنه في الوقت نفسه يكون على يقين راسخ بأنه لن يحصى نعمة ربه عليه.

وفيما يلي نحاول أن نعدد بعضاً من نعم الله - عز وجل - علينا، والتي وردت في القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو من خلال ما نستشعره من حولنا أو من النظر في أنفسنا، ونسأل الله العون والسداد.

### نعمة الوحدانية

قال الله تعالى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٦٣]

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لِيُؤْتَى مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء ١١١]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة ٢٥٥]

ووحدايته -عز وجل- نعمة عظيمة؛ بل إنها ذروة سنام النعم جميعها، وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي خير الكلام على الإطلاق وأثقلها في الميزان يوم البعث والحساب، وفيها سر النجاة ومفاتيح الخير؛ بما ينقلب المرء من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان ومن صحراء الجهل إلى رياض العلم، ولقد قال المصطفى ﷺ: خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١)</sup>.

صدقت يا رسول الله؛ فهذه الكلمة العظيمة لولاها لما خلقت السموات والأرض، ولا جعل الموت والحياة، ولا خلق الخلق ولولاها لما وجد الثواب والعقاب والجنة والنار ولا أرسل الرسل ولا خلقت الملائكة؛ فكون ربنا -عز وجل- لا شريك له؛ فلتك نعمة لا نستطيع أداء شكرها لأننا لو تأملنا بعقولنا وقلوبنا لأدركنا أنها قوام الحياة، فلو تخيلنا أن لهذا الكون أكثر من إله هل كان الأمر سيستقيم؟! هل كانت الأجرام والأفلاك ستسير وتدور بهذا الانتظام العجيب؟! هل كانت الشمس ستشرق علينا في موعد لا تخلفه؟! والقمر هل كانت منازلها ستتابع كما هو حالها منذ الأزل؟!.

بل لنسأل أنفسنا لمن تكون عبادتنا وولأوتنا؟ وكيف يتسنى لنا أن نعرف الحق من الباطل ومن بيده رزقنا وحياتنا وأجلنا وعقابنا وثوابنا؟ ومن تكون بيده مفاتيح الجنة والنار؟ وأين تذهب الأعمال الصالحة والقربات إن هي ذهبت لإله؟ فكيف يكون حالنا مع الآخر؟ وإن أراد أحدهما أمراً وأراد الآخر غيره فما حال أحدهما

(١) صحيح رواه الترمذي ٣٥٨٥.

وقال - سبحانه - على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف ٣٨]

فالإسلام من أجل نعم الله علينا، والمسلم عليه أن يحمد الله - عز وجل - أن  
هداه للإسلام الذي هو دين الله - عز وجل - الذي ارتضاه للناس والذي به تمت  
الرسالات واكتمل المنهج الرباني كما قال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة ٣]

والإسلام هو دين الرسل - جميعهم - من عهد آدم - عليه السلام - وحتى بعثة  
الحبيب المصطفى كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا  
سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس ٧٢] وقال  
سبحانه على لسان يوسف عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف  
١٠١] وكما جاء في سورة البقرة من أمر الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام  
﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا  
بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ  
يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ [البقرة ١٣١-١٣٣]

والآيات في هذا المعنى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها؛ فكل الرسل والأنبياء كانت رسالتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله - عز وجل - ولكن الاختلاف كان في التشريع والمنهج الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان وبموجب الحاجة كما يقدرها الله عز وجل؛ لأن كل الأنبياء قبل سيدنا محمد كانت رسالتهم محدودة بزمان ومكان معينين؛ فكل نبي كان يرسل إلى قومه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله - عز وجل - وليصلح ما بهم من اعوجاج؛ حتى أذن الله - عز وجل - أن تُختم هذه السلسلة المباركة برسالة نبينا محمد؛ ليكون خاتم الأنبياء وتكون رسالته للناس كافة لا يحدها زمان ولا مكان، رسالة صالحة بشرعها الرباني إلى يوم القيامة يجسد فيها كل حائر ضالته وكل ذى سقم دواءه.

فالإسلام نعمة عظيمة قد لا يدرك البعض قدرها لا سيما ممن ولدوا مسلمين؛ فالأمر قد يكون بالنسبة لهم شيئاً ألفوه، ووجدوا آباءهم عليه فتبعوهم دون تأمل أو تدبر في فضل الله عليهم أن أخرجهم إلى الدنيا على الإسلام، ولو وقف هؤلاء مع أنفسهم وقفة تفكر وتأمل لتلك المنة الجليلة، وسألوا أنفسهم كيف لو أنهم كانوا على غير الإسلام، بل كيف لو ماتوا على ذلك، أليس ذلك هو الهلاك المحقق والخسران المبين؟ هل كانت ستغني عنهم أموالهم وأولادهم وما حققوه من مكاسب دنيوية، ومن أين كانوا سيأتون بدين فيه كل هذا الجلال والكمال وبشريعة يستقيم بها أمر الدنيا والآخرة من سار عليها ولزمها سعد في الدنيا والآخرة وأحياه ربه - عز وجل - حياة طيبة بقلب مطمئن ونفس ساكنة وروح

متعلقة ببارئها تسعى في الحياة بجهد وتعمر الأرض كما أمرها ربها؛ ولكنها لا تتخذ الدنيا لها وطناً، وتدرك أن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة.

وهذه نعمة أخرى تدرج تحت نعمة الإسلام وهي نعمة أن يعمل الإنسان وأمامه غاية سامية يسعى وهو على يقين بوجودها فلولا ذلك لكانت حياة المرء فارغة تافهة لا هدف منها ولا قيمة؛ بل تكون الدنيا هي غاية المنتهى بالنسبة له وما أقسى ذلك الشعور.

فليشكر كل منا ربه كثيراً على أن هداه للإسلام؛ وكفى به نعمة ومنة من رب كريم فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فلك الحمد يا ربنا على نعمة الإسلام؛ التي أخرجت بما عبادك من الظلمات إلى النور ومن الضلال على الهدى ومن الضيق إلى السعة، ولك الشكر يا من أكملت لنا ديننا، وأتممت علينا نعمتك، ورضيت لنا الإسلام ديناً؛ فهو —حقاً— تمام المنة وكمال الأمر.

هو عزنا دينا ودين	متين	حبل	إسلامنا
يهدي نفوس الخائرين	للورى	خير	منهاج
ليل الجهالة فأنجلي	على	أنزله	الله
هو رحمة للعالمين	مفصلاً	جاء	بالحق
فيه الأمانة والوفاء	والإخاء	الحبة	فيه
كانوا جميعاً مسلمين	الأنبياء	كل	هو دين
والأمن ظل سمائه	لوائه	تحت	العدل
دوماً على مر السنين	أبنائه	في	والخير
بالحب جاء وبالسلام	الأنام	خير	ورسولنا
كلام رب العالمين	الكلام	خير	منهاجه
فاستمسكوا بإخوته	النجاة	طوق	إسلامنا
قد ارتضى الإسلام دين	الإله	أن	وحسبكم

### نعمة إرمال الرمل

الله - عز وجل - من أسمائه الحسن الحکم العدل، وذلك يعنى: أن الله - عز وجل - حرم الظلم على نفسه - سبحانه - فهو متره عن كل نقص، ومن أعظم الشواهد على عدله - تبارك وتعالى - أنه لما جعل مبدأ الثواب والعقاب وخلق الجنة والنار؛ ليثاب المحسن ويعاقب المسيء - اصطفى عز وجل رسلاً من الملائكة ومن الناس؛ ليبلغوا عنه - سبحانه - مراده من خلقه، وليعرفوهم به - عز وجل - ويدعوهم إلى توحيدهِ وعدم الإِشراك به - تبارك وتعالى - وليرسموا لهم الطريق

المستقيم الذى إن تبعوه قادهم إلى جنة الرضوان، وإن انحرفوا عنه كبت وجوههم فى النيران.

والله -عز وجل- يفعل بعباده ما يشاء؛ إن يشأ يرحمهم، وإن يشأ يعذبهم فهو -سبحانه- لا يسأل عما يفعل؛ ولكنه سبحانه غني عن عذابنا إن نحن سمعنا وأطعنا واتبعنا دينه.

والله -عز وجل- إنما أرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين؛ لكى يقيم الحجة على عباده، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر فى صدمهم عن دينه واستكبارهم عن اتباع رسله كما قال عز وجل: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

فالله -عز وجل- يمهّل عباده ويوضح لهم طريق النجاة وطريق الهلاك، ويشرهم وينذرهم كل ذلك على لسان رسله -صلوات ربي وسلامه عليهم- أجمعين ويسعى هؤلاء الرسل الكرام لهداية أقوامهم بشتى الوسائل يتحملون ما يفوق طاقة البشر من الأذى، ويصبرون ويجتهدون فى مد يد العون لكل ضال ولكل مسرف على نفسه؛ حتى إذا أخذ الله -عز وجل- تلك القرى كان ذلك بما كسبت أيديهم وبظلمهم لأنفسهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]

قال سبحانه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء  
 ٢٠٨] فأرسال الرسل إلى الناس فضل من الله ورحمة بخلقه، ونعمة تستوجب الشكر  
 الجزيل؛ لأنهم حلقة الوصل بين العباد ورب العزة تبارك وتعالى.  
 ومن رحمته عز وجل أنه يرسل الرسل؛ كلاً بلسان قومه؛ لأن ذلك أدعى للبيان  
 والتبليغ بشكل يسير وصحيح، ليس فيه التباس ولا غموض حتى تتضح لهم الصورة  
 كاملة؛ ليؤمن من آمن عن بينة ويقين، ولتكون الحجّة دامغة على من يعرض  
 ويتكبر.

#### نعمة النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو  
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [ال  
 عمران ١٦٤]

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة ٢]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥-٤٦]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

فمن أعظم نعم المولى علينا أن أرسل إلينا رسوله الكريم أفضل البشر على الإطلاق، وأن جعلنا من أتباعه، فبيننا محمد هو شمس الهداية إلى طريق رب العالمين، وهو السراج الذى ينير لنا الطريق، وهو معلمنا وهادينا وقدوتنا وشفيعنا يوم الحشر العظيم؛ إنه مبلغ رسالة الله - عز وجل - إلى الدنيا بأسرها وهو الذى أخرج الله به الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الجور والظلم إلى الرحمة والعدل؛ إنه ﷺ من غيرت بعثته وجه الحياة وملاحمها فى فترة تعد قصيرة جداً بمعيار التاريخ البشرى حتى إن أعداء الإسلام شهدوا له - صلى الله عليه وسلم - أنه أكثر الشخصيات على مدى تاريخ البشرية تأثيراً وتغيراً فى كل مناحى الحياة؛ فلم تكتمل كل جوانب العظمة لإنسان كما اكتملت له - صلوات ربي وسلامه عليه - فهو الوحيد من بنى البشر الذى حقق قمة النجاح على كل المستويات.

فعلى المستوى الإنسانى تجده صاحب أطهر نفس وأنقى سريرة وأحسن خلق وصاحب أعلى درجة من درجات الإيمان والتقوى والعبودية لرب العالمين.

وعلى المستوى السياسى والعسكرى تراه قائداً مسدداً ومقاتلاً قوياً على أعداء

وعلى المستوى الاجتماعى فهو الأب المعلم الحنون والزوج المحسن لأهله كأحسن ما يكون الإحسان والتاجر الأمين والصاحب الوفى والمعلم والمربى الخبير جيل عرفته البشرية؛ إنه ﷺ لولا مَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِعِثْتِهِ الْمُبَارَكَةِ لَكَانَتْ الْحَالُ غَيْرَ الْحَالِ، ولَبَقِيَتْ الْبَشَرِيَّةُ تَتَقَلَّبُ فِي ظِلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالشَّرْكِ وَالْفَلَسَفَاتِ الْمُضِلَّةِ وَالتَّشْرِيعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَقِيمُ بِهَا الْحَيَاةُ.

فَاللَّهُمَّ احْشِرْنَا فِي زَمْرَتِهِ وَلَا تَحْرِمْنَا شِفَاعَتَهُ يَوْمَ الْحِشْرِ الْعَظِيمِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْقُونَ مِنْ حَوْضِهِ الشَّرِيفِ شُرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا، وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَ هَدْيِهِ وَاقْتِنَاءَ سُنَّتِهِ؛ حَتَّى نَكُونَ أَهْلًا لِنَسَبَتِنَا إِلَيْهِ ﷺ.

وَالْحَسَنُ حَجَلًا مِنْ سَنَاهِ تَوَارِي  
شَمْسِ الْهُدَايَةِ تَنْشُرُ الْأَنْوَارَ  
مَنْ لَيْسَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ يَارِي  
نَسَبٌ يَتِيهِ بِهِ الْوُجُودُ فَخَارًا  
لَهُ الزُّهُورُ وَفَاحَتِ الْأَعْطَارَ  
فَعَدَا الْأَمِينَ نِدَاؤُهُ إِذْ سَارَا  
وَالْعَدْلُ أَضْحَى رَايَةَ وَشَعَارَا  
لِلْحَقِّ دَرْبًا وَالْأَنْبَاءَ حِيَارَى  
وَمَلَدَحَهُ كَمْ سَطَرُوا الْأَشْعَارَ  
مَهْمَا بَدَلْنَا أَنْفُسًا وَدِيَارَا  
وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَدْحُنَا الْمَعْشَارَا

وَجِهَ الزَّمَانُ مِنَ السَّرُورِ أَنْارَ  
وَلَدَ الْحَبِيبِ فَأَشْرَقَتْ بَضَائِهِ  
بِشْرَاكِ بِالْمَخْتَارِ يَا أُمَّ الْقُرَى  
خَيْرِ الْأَنْبَاءِ الْمُجْتَبَى مِنْ رَبِّهِ  
لَمَّا أَهْلَ عَلَى الْوُجُودِ تَفْتَحَتْ  
مَلِكِ الْقُلُوبِ بِصَدَقِهِ وَعَفَافِهِ  
لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ يَدْعُو وَالتَّقَى  
وَبِشْرَعَةِ الرَّحْمَنِ جَاءَ مَبِينًا  
شَهِدَ الْجَمِيعَ بِخَلْقِهِ حَتَّى الْعَدَا  
يَا نِعْمَةَ لِسَانِ نَوْفِي شُكْرَهَا  
فَقَدْرَكَ السَّامَى يَفُوقُ ثَنَاءَنَا

## نعمة الهدى

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف ٩]

قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر ٣١]

وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر ٢٣]

فالهدى من أجل نعم الله -عز وجل- على عباده وهى بيده وحده -سبحانه- يهبها لمن يشاء ويرزعها ممن يشاء؛ فالخلق هم عباد الله وصنعتة وهو -عز وجل- أعلم بقلوبهم؛ فمن علم فى قلبه إيماناً صادقاً وحباً للهدى والصلاح وسعيًا جاداً فى ذلك وفقهه سبحانه وهداه كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن ١١] وفى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ معنى يجب أن نقف عنده؛ فالذين اهتدوا أى: سعوا فى طلب الهداية من ربهم موقنين أنه وحده القادر على هدايتهم أعطاهم سؤالهم فهداهم ووهبهم الثبات على تلك الهداية، ووقفهم لسبيلها وأعطاهم المزيد من الهدى، ذلك لأنهم علموا أن الهداية نعمة وفضل من الله، فشكروا ولم يفتروا بتلك النعمة بل ازدادوا تواضعاً لربهم

وعلى المستوى الاجتماعى فهو الأب المعلم الخنون والزوج المحسن لأهله كأحسن ما يكون الإحسان والتاجر الأمين والصاحب الوفى والمعلم والمرى للخير جيل عرفته البشرية؛ إنه ﷺ لولا من الله علينا ببعثته المباركة لكانت الحال غير الحال، ولبقيت البشرية تتقلب فى ظلمات الجهل والشرك والفلسفات المضلة والتشريعات البشرية التى لا تستقيم بها الحياة.

فاللهم احشرونا فى زمرة ولا تحرمنا شفاعته يوم الحشر العظيم، واجعلنا ممن يسقون من حوضه الشريف شربة لا نظماً بعدها أبداً، وارزقنا اتباع هديه واقتفاء سنته؛ حتى نكون أهلاً لنسبتنا إليه ﷺ.

والحسنُ حَجَلاً من سناه توارى  
شمس الهداية تنشر الأنوارا  
من ليس بين العالمين يبارى  
نسب يتيه به الوجود فخارا  
له الزهور وفاحت الأعطارا  
فغدا الأمين نداؤه إذ سارا  
والعدل أضحى راية وشعارا  
للحق دربنا والأنام حيارى  
ولمدحه كم سطوروا الأشعار  
مهما بذلنا أنفسنا وديارا  
وليس يبلغ مدحتنا المعشارا

وجه الزمان من السرور أنارَ  
ولد الحبيب فأشرقت بضياؤه  
بشراك بالمختار يا أم القرى  
خير الأنام المجتى من ربه  
لما أهل على الوجود تفتحت  
ملك القلوب بصدقه وعفافه  
لمكارم الأخلاق يدعو والتقوى  
وبشرعة الرحمن جاء مبيئاً  
شهد الجميع بخلقه حتى العدا  
يا نعمة لسنا نوفى شكرها  
فقدرك السامى يفوق ثناءنا

## نعمة الهدى

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف ٩]

قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر ٣١]

وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر ٢٣]

فالهدى من أجل نعم الله -عز وجل- على عباده وهى بيده وحده -سبحانه- يهبها لمن يشاء ويزرعها ممن يشاء؛ فالخلق هم عباد الله وصنعتة وهو -عز وجل- أعلم بقلوبهم؛ فمن علم فى قلبه إيماناً صادقاً وحباً للهدى والصلاح وسعيًا جاداً فى ذلك وفقه سبحانه وهداه كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن ١١] وفى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ معنى يجب أن نقف عنده؛ فالذين اهتدوا أى: سعوا فى طلب الهداية من ربهم موقنين أنه وحده القادر على هدايتهم أعطاهم سؤالهم فهداهم ووهبهم الثبات على تلك الهداية، ووقفهم لسبيلها وأعطاهم المزيد من الهدى، ذلك لأنهم علموا أن الهداية نعمة وفضل من الله، فشكروا ولم يفتروا بتلك النعمة بل ازدادوا تواضعًا لربهم

وافتنقاراً إليه وخشية، وذلك أيضاً من صور الشكر، وقد علمنا آنفاً أن الشكر سبب لزيادة النعمة كما ورد في فصل: "ولكن شكرتم لأزيدنكم".

فعلى المؤمن أن يعلم علم اليقين أن الله -عز وجل- هو الهادي ولو أن المرء اتبع كل أسباب الهدى ولم يرد الله -عز وجل- له الهداية فلن يهتدى إذاً أبداً، ولو اجتمع على هدايته أهل الأرض جميعاً، ولو أراد الله أن يهديه ما استطاع الإنس والجن ولو اجتمعوا أن يضلوه، فالأمر كله بيد الله -عز وجل- فمن رزق نعمة الهداية فليحمد الله على هذه العطية العظيمة، وليحرص على دوام شكرها؛ حتى لا يُحرم منها لأنه من حُرْمِ الهدى فقد حُرِمَ خيري الدنيا والآخرة.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في ذلك: [فلو عرف أهل طاعة الله -عز وجل- أنهم هم المنعم عليهم في الحقيقة، وأن الله عليهم من الشكر أضعاف ما على غيرهم، وإن توسدوا التراب ومضغوا الحصى فهم أهل النعمة المطلقة، وأن من خلى الله بينه وبين معاصيه فقد سقط من عينه، وهان عليه، وإن ذلك ليس من كرامته على ربه، وإن وسع الله عليه في الدنيا، ومد له من أسبابها؛ فإنهم أهل الابتلاء على الحقيقة<sup>(١)</sup>].

أي: أن توفيق العبد، من قبل ربه للطاعات هو تمام النعمة؛ التي لا بد للعبد من تأدية شكرها بشكل أكبر من غيره من العباد الذين لم يوفقوا لمثل عمله، وليعلم أنه لن يستطيع أن يوفيقها حقها من الشكر، ولينظر إلى من وكلهم ربه لأنفسهم ولأهوائهم وخلى بينهم وبين معاصيهم، وليعلم أن ما هم فيه من سعة ورغد في

(١) مفتاح دار السعادة (١/٤٤٥)

العيش ليس من علامات رضا الله عليهم، بل إن الله يبتليهم بها؛ لينظر كيف يعملون وذلك من أشد أنواع الابتلاء.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: [والهداية هى العلم بالحق مع قصده وإشاره على غيره؛ فالمهتدى هو العامل بالحق المرید له، وهى أعظم نعمة لله على العبد ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله هداية الصراط المستقيم كل يوم وليلة فى صلواتنا الخمس<sup>(١)</sup>].

أى أن الهداية تتطلب من العبد أن يعرف الحق من الباطل، ثم يجعل من الحق الذى علمه مقصداً وهدفاً يضعه نصب عينيه لا يزيغ عنه، وأن يفضله دائماً على ما سواه، فالمهتدى هو من يعمل بالحق الذى علمه ويريده ويسعى إليه محبباً راغباً فيه، وتلك نعمة جليلة، وليس أدل على عظمها من أن الله -عز وجل- جعلها دعاء للمسلمين فى كل ركعة من صلواتهم؛ حيث إن الصلاة لاتصح إلا بأمر الكتاب (سورة الفاتحة).

كما كان أورد -رحمه الله- فائدة عظيمة حيث قال: [فإن الحكم لا يكفى فيه وجود مقتضيه بل لابد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه<sup>(٢)</sup>].

فالعبد لا يكفيه أنه يرزقه الله الهداية فحسب؛ بل إنه يحتاج من ربه -عز وجل- أن يصرف عنه ما قد يحول بينه وبين سبل تلك الهداية أو يصرف عنه جانباً منها؛ فالهداية تحتاج إلى تثبيت وتجديد من الله -عز وجل- وتحتاج إلى يقين من العبد أنه

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٣٣)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٣٤).

فقير إلى ربه محتاج إليه في كل لحظة؛ كي يرزقه الهداية ثم المزيد منها. وأن يرزقه الشكر عليها حفظها، ثم إنه يحتاج إلى ثبات القلب عليها وذلك لا يكون إلا بيد مقلب القلوب - سبحانه - وبعد ذلك كله هو محتاج إلى ربه لكي يصرف عنه ما قد يمنع عنه تلك الهداية، أو يحول بينه وبين الانتفاع بها؛ فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك يا رب، واجعلنا هادين مهتدين، ولا تجعلنا ضالين ولا مضلين بفضلك يا رب العالمين.

### نعمة القرآن الكريم

القرآن الكريم ذلك الكتاب العظيم المتزل من رب السماء على قلب خير الرسل والأنبياء ذلك الكتاب المعجز؛ الذي لا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء ولا يمل قارئوه.

ذلك الكتاب الذي جعله الله - عز وجل - معجزه نبيه - صلى الله عليه وسلم - الباقية ما بقيت الحياة وما زاده التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، فالله - عز وجل - أنزله على رسوله، وتكفل سبحانه بحفظه حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

فمن فضل الله علينا أن حفظ لنا كتابه على مر العصور فلم يصبه تحريف ولا تبديل، ولم يزد عليه أو ينقص منه حرف واحد، وتلك - والله - نعمة جليلة؛ حيث إنه لو تعرض القرآن للتحريف أو التبديل كما هو الحال بالنسبة لغيره من الكتب المتزلة لكان ذلك سبباً مباشراً لفرقة المسلمين وتشردهم، ولكان مدعاة للتساحر والجدال المستمر، ولتقتضوا أمرهم بينهم، ولصاحت كل فرقة منهم بأنهم هم على

الصواب، وما عاداهم على الباطل ولطُمِسَتْ هويتنا الإسلامية، وفقدنا المرجعية الموحدة التي تسد باب الخلاف وتحفظ على هذه الأمة عراها.

ولكن الله -عز وجل- حفظ لهذه الأمة الخاتمة منهجها ومصدر تشريعها؛ لأنه -سبحانه وتعالى- أراد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وأراد لهذا الدين أن يبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبقاء الدين وبقاء الأمة لا يكون إلا ببقاء ذلك الكتاب العظيم الذي يحمل بين دفتيه دستوراً للحياة ويرسم لنا طريق الوصول إلى رضوان الله، ويجد فيه كل حائر مستراحه، وكل سائل جواب سؤله كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

فعلينا أن نعلم عظم تلك النعمة، وأن يكون شكرها ليس بتلاوة الآيات فقط، وإن كانت من أجل العبادات، ولكن علينا أن نتدبر ونعمل العقل، ونطالع كتب التفسير؛ لنعرف ما يخفى علينا من معانٍ، ثم بعد ذلك نعمل بما فيه تأسيًا بالنبي؛ الذي كان خُلِّقَ القرآن الكريم وبالصحب الكرام الذين قاموا بحقه أيما قيام لما علموا ما فيه من خيري الدنيا والآخرة.

اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وارزقنا التدبر في آياته والعمل بأحكامه، وارزقنا الشكر عليه يا أرحم الراحمين.

يا طالباً لكتاب الله بشراك	برضاء ربك ذي الإحسان والكرم
قرآن ربي إن تسع لبغيته	فقد ظفرت بكل الخير والنعم
نور من الرحمن قد عم الورى	بعد ما غرقوا في وحشة الظلم

ضمت مجامع الإلتقان والعظم  
 تحيي موات قلوب الخلق من عَدَمِ  
 وبه الشفاء من الأحزان والسقم  
 في يوم حشر بالأهوال مزدحم  
 وبه الشيطان بات بشر مُنْهَزَمِ  
 فاشكر لربك ما علمت بالقلم  
 فرباطهم أقوى من نسب ومن رحم  
 كل بفيض من الرحمات في غنم  
 اجعل جهادك بالإخلاص متمم  
 واعمل بشرعته وبجبله اعتصم  
 سادوا بمنهجه سائر الأمم  
 بل كان بالنفس والأرواح يلتحم  
 فاغنم شبابك قبل الضعف والهزم  
 وبه تتمم الأخلاق والشيم

بهر العقول بدقة وبلاغه  
 آياته محكمات سرها عجب  
 فيه السكينة والسلوان من هم  
 ولأهله الأبرار قد حلت شفاعة  
 ذكر لرب الكون في أعلى مراتبه  
 كل العلوم بأي الذكر قد جمعت  
 طوبى لقوم القرآن جمعهم  
 وملائك الرحمن قد حفت مجالسهم  
 يا من سلكت دروب العلم مجتهداً  
 واجعله منهاجاً لخير معيشة  
 وتأس بالصحب الكرام؛ فإنهم  
 لم يجعلوا القرآن فوق شفاههم  
 إن أنت رمت بهؤلاء تشبهاً  
 فسعادة الدارين بين صحافه

### نعمة للنهج الرباني

من أجل النعم التي أنعم الله بها على أمة الإسلام أن جعل لها دستوراً ربانياً  
 شاملاً؛ يصلح لكل زمان ومكان، ألا وهو كتاب الله؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين  
 يديه ولا من خلفه، وأتم الله نعمته علينا بسنة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى لتفصل  
 ما أجمل من القرآن.

فالقُرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهاج رباني متكامل؛ من تمسك بهما وسار على هديهما لا يضل أبداً كما قال ﷺ<sup>(١)</sup> "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن تفرقا حتى يردا على الخوض".

وذلك المنهج العظيم لو يعلم بنو الإسلام قدره لسجدوا لله شكراً ولسعوا لحفظ ذلك الكثر الثمين الذي قد لا يدرك قيمته الكثيرون، وعلى من لا يستشعر قدر تلك النعمة أن ينظر في أحوال الأمم الأخرى؛ ليرى كيف أنهم ممزقون بين التشريعات والقوانين التي هي من وضع البشر والتي تتغير مئات المرات، ويتم تعديلها مراراً وتكراراً وينذلون الجهد والمال والوقت الكثير في دراسة تلك التشريعات، ولا يصلون في النهاية إلى ما يحقق لهم ما يرنون إليه من عدل وأمن وحياة كريمة.

وذلك أمر ليس بمستغرب؛ لأن تلك التشريعات قد سنها بشر يصيرون ويخطئون، ولا يمكن لأحدهم أن يحيط علماً بكل ما حوله من أمور الحياة لعجزه البشري وقصور عقله، وذلك القصور والخلل في تشريع هؤلاء يجعلهم يحيون دائماً في حالة من عدم الارتياح والشعور -أحياناً- بالقهر والظلم، ويجعلهم في حالة بحث دائم عن ضالة لهم لا يعرفون كيف يصلون إليها ولا يعرفون الجواب للكثير من الأسئلة التي تشغلهم.

والكثير منهم تنتهي به الحياة دون أن يجد لسؤاله جواباً ودون أن يعلم لحياته غاية؛ فهو يقضي العمر في تحبظ بين فلسفات شاذة وأفكار منحرفة عن الفطرة.

(١) صحيح: الحاكم ٣١٩، البزار ٨٩٩٣، صحيح الجامع ٣٢٣٢ من حديث أبي هريرة.

فعلَى المسلم حين يرى ذلك أن يحمَد الله - عز وجل - أن كفاه كل ذلك العناء ورزقه منهاجاً ربانياً؛ يسعد به في دنياه وأخراه، وتسكن معه الروح ويستقيم العقل وتتنظم الحياة، ويجد فيه جواباً لكل أمر دقيق أو كبير.

فشريعة الإسلام لم تدع أمراً من أمور الدنيا والآخرة إلا وبينته سواء أكان ذلك التبيان صريحاً في نص قرآني أو بشيء من سنة النبي أو باجتهاد العلماء الربانيين الذين يعرضون ما استُجدَّ من أمور على الكتاب والسنة، ويستخلصون لنا الحكم الشرعي قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)

وكل ذلك لا شك أن فيه راحة وطمأنينة للمسلم؛ الذي يدرك أن له مرجعية يرجع إليها إذا عرض له عارض أو التبس عليه أمر.

وصور الإعجاز والكمال في منهاجنا الرباني كثيرة لا يمكن لأحد أن يحصيها؛ ولكننا سنحاول أن نذكر أمثلة؛ من ذلك:

١- أن شريعتنا الغراء قد أحلت لنا الطيبات، وحرمت علينا الخبائث كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وفي ذلك رحمة من الله بعباده المسلمين فهو - سبحانه - أعلم بما يصلح به حالهم وبما ينفعهم وبما يضرهم، فكل ما أحله الله - عز وجل - فيه الخير، وكل ما حرمه ليس فيه من الخير شيء، فمن اتبع الأمر والنهي سعد في حياته وأرض مولاه.

والعلم في كل يوم يثبت للبشرية أن كل ما حرمه منهجنا القويم فيه من الأضرار والمفاسد ما لا يعلم مداها إلا الله، وأن الخير كل الخير فيما أحله الله - تبارك وتعالى - لعباده.

٢- أن منهجنا الرباني يتميز بالتيسير، فلا يُحمل المسلم فوق ما يطيق ولا يشق عليه في التكليف كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ ﴿ [البقرة ٢٨٦].

وكما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق ٧]

ولقد أمر نبينا أمته بالتيسير فقال: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا<sup>(١)</sup>. والأمثلة على يسر الإسلام كثيرة لا يتسع المجال لها، ومن ذلك التيسير في الوضوء والصلاة، فقد شرع الله التيمم لمن لا يستطيع الوضوء، وكذلك المسح على الجورب وعلى الجبيرة، ويسر الله على المسلم صلاته فمن لم يستطع أن يصلي واقفاً فليصل جالساً، ومن لم يستطع أن يصلي فليصل على جنبه، وللمسافر أن يقصر من صلاته، وكذلك الزكاة لم تفرض إلا على المستطيع، وكذلك الحال

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٥، مسلم ١٧٣٢.

بالنسبة للحج؛ فمن لم يستطع إليه سبيلاً سقط عنه، والصيام فرضه الله على عباده المؤمنين لما فيه من المنافع العظيمة ويسر أمره بأن أسقطه عن الطفل وعن المريض الذي لا يرجى شفاؤه، وأذن للمسافر والمريض وكذلك للحامل والمرضع أن يفطروا ثم يقضوا ما فاتهم حين يتيسر لهم ذلك، إلى غير ذلك من صور التيسر الكثيرة التي تشهد بعظمة ذلك المنهج الرباني.

٣- أنه منظم للعلاقات والمعاملات بين المسلمين بعضهم ببعض، وكذلك بينهم وبين غيرهم بشكل دقيق وعادل كما هو الحال في أحكام المواريث وأحكام البيوع وحقوق الجار وحق كل من الزوجين على الآخر وحقوق الآباء والأبناء والعلاقة بين الحاكم والمحكوم وعلاقة المسلم بمن ليس على دينه إلى غير ذلك من العلاقات الإنسانية والمعاملات المتعددة؛ التي لم يترك الشرع منها شيئاً إلا وبينه.

٤- إن شريعة الإسلام توافق الفطرة السوية للإنسان، وتحترم العقل والعلم بل إنها تدعو إلى إعمال العقل والتدبر والتفكير والاعتبار، وتحث على طلب العلم وتعالى من قدر العلماء ولا تقف حائلاً أمام التقدم والتطور في شتى مناحي الحياة شريطة أن يكون ذلك التقدم والتطوير فيما ينفع الناس؛ فمنهجنا العظيم صالح لكل زمان ومكان، وفيه من الشمول والمرونة ما يجعله يستوعب كل ما يستجد من أمور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

#### نعمة الصديق

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة ١١٩].

فالصدق نعمة وأي نعمة حتى إن البعض يراه أعظم نعمة بعد الإسلام وكيف لا؟! وهو خلق الأنبياء والمرسلين بل إن الله - عز وجل - قدم الصدق على النبوة في وصف أنبيائه كما ورد ذلك في سورة مريم ألم يقل سبحانه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم ٤١].

ووصف إسحاق ويعقوب عليهما السلام بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم ٥٠] وقال سبحانه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم ٥٤].

وكذلك سيدنا إدريس عليه السلام: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم ٥٦].

وكذلك كان الصدق سمة أصيلة في خاتم الأنبياء محمد ﷺ حتى قبل أن يعث فكان أهل مكة يصفونه بالصادق الأمين.

كما أن الصدق يأخذ بيد صاحبه إلى رضوان الله وجنته كما قال رسولنا ﷺ: (إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْحَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ

الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا<sup>(١)</sup> ، وأي أمنية للعبد المؤمن هي أعلى من رضوان الله ومن جنته؛ فعلى كل منا أن يتحرى الصدق في كلامه وأفعاله ومكنون قلبه؛ لأن الصدق خير كله فهو في الدنيا صون للكرامة وحفظ للهية والحشمة ومدعاة لسلامة القلب وراحة الضمير ودافع لكل شبهة، ومعين على كل معروف، وداحض للظلم وحصن من الشيطان، وهو - في الآخرة - جالب لرضوان الله - عز وجل - مثقل للميزان نافع لصاحبه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ومن أقوال ابن مسعود رضى الله عنه في ذلك: [ألا وإن شر الروايا روايا الكذب. ألا وإن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل صبيه شيئاً ثم لا ينجزه<sup>(٢)</sup>].

ويقول ابن القيم رحمه الله: [وأول ما يسرى من الكذب من النفس إلى اللسان، ثم يسرى إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله، فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله فيستحكم عليه الفساد، ويطرأ داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق فيقلع تلك المادة من أصلها]<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يقول: [إن كل عمل صالح ظاهر أو باطن؛ فمنشؤه الصدق وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب]<sup>(٤)</sup>

(١) البخارى ٦٠٩٤، مسلم ٢٦٠٧.

(٢) الفوائد ١٧٤.

(٣) الفوائد ١٦٢.

(٤) الفوائد ١٦٢.

فما أجمل أن يتحلى العبد بالصدق مع الله والصدق مع الناس والصدق مع النفس، وما أجمل أن يتذوق حلاوة الصدق ويدرك أنه نعمة عظيمة يجب عليه أن يشكر الله -تبارك وتعالى- عليها لكي يديمها ربه عليه ويزيده منها، ويرفع بها درجته في الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً<sup>(١)</sup>.

### نعمة العلم

العلم هو أول منحة ربانية تلقاها سيدنا آدم -عليه السلام- من ربه -عز وجل- بعد أن سواه ونفخ فيه من روحه؛ فقال -سبحانه وتعالى- في سياق قصة خلق سيدنا آدم أبو البشر: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ\* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة ٣١-٣٣].

وفي ذلك دلالة دامغة على علو مكانه العلم وعلى أهميته الكبيرة في حياة البشر، فنلاحظ في هذه الآيات تكرار كلمة العلم واشتقاقاتها، وذلك في بداية الخلق وكأن الله -تبارك وتعالى- يعرفنا أن العلم وهو من صفاته -عز وجل- هو الأساس الذي يقوم عليه خلق هذا الكون وما فيه من مخلوقات، وأنه مكون أساسي للإنسان الذي جعله الله -عز وجل- خليفة في الأرض، فلولا العلم لما أدرك الإنسان غاية

خلقه، ولما عبد الله - عز وجل - ووحده إذ كيف يعبد من لا يعرف، فمعرفة الإنسان بربه - سبحانه - هي الطريق لتوحيده وعبادته.

فكلما ازداد الإنسان علماً ازداد إيماناً بربه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر ٢٨].

فأهل العلم الصحيح المستوى الذى لا تخالطه انحرافات الفكر والعقيدة هم أهل الخشية والمراقبة لله - عز وجل - فهم بما أعطاهم ربهم من علم يدركون مدى قدرة الله - عز وجل - وعظمته واستحقاقه وحده سبحانه للعبادة دون شريك أو ند فيورثهم ذلك العلم انكساراً وذللاً وتواضعاً لخالقهم - جل وعلا - كما يدركون أن ذلك العلم فضل من ربهم ونعمة، يجب أن يقيدوها بالشكر فهم لا ينسبون العلم لأنفسهم كما يفعل أهل الجهالة، فالجاهل هو من يعتقد في نفسه أنه قد علم كل شيء، وأن علمه ذلك نتاج عقله وذكائه، فذلك مع تماديه في غيه يجعل الله - عز وجل - إلهه هواه ويضله على علم. انظر إلى قارون حين قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضُ ﴾.

والفرق بين الفئتين واضح جلي: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر ٩].

فإن الله - عز وجل - ينفى المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم، والمقصود بالعلم هو كل علم نافع يرتفع به إيمان المرء، ويزيده يقيناً بربه - عز وجل - سواء أكان علماً دنيوياً ينتفع به الناس أو علماً شرعياً؛ المهم أن يكون العبد قاصداً به وجه ربه - عز وجل -

وجل - مدرِّكًا أنه لولا فضل الله عليه لما أدرك من ذلك العلم شيئًا فإله - سبحانه - يقول لنبيه وهو أنقى الناس وأحشاهم لربه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

ويقول - عز وجل - في أول آياته نزلت على قلب المصطفى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]

فالعلم من فيض الله - عز وجل - علينا وإنعامه، وبه يرفع الله أقوامًا، ويضع آخرين وبه يجعل الناس درجات في الدنيا والآخرة قال عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

وأهل العلم هم صفوة الخلق، وهم سفراء الله - عز وجل - في الناس وهم ورثة الأنبياء، وهم من فضلوا على العباد؛ حيث إن العابد خيره يعود عليه وحسب، أما العالم فإن خيره يتعدى إلى غيره، وقد يهدى الله كثيرًا من عباده فقبح قال ﷺ<sup>(١)</sup>: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيَتَانِ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ

(١) أحمد ١٩٦/٥ رقم ٢١٧٦٣، أبو داود ٣١٧/٣ رقم ٣٦٤١، الترمذي ٤٨/٥، رقم ٢١٢٨.

الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ  
أَخَذَ بِحِطِّهِ وَأَفْرٍ.

فعلى كل من رزق نصيباً من العلم أن يشكر ربه - عز وجل - على هذه النعمة  
الجليلة، وعليه أن يسعى لنشر ذلك العلم النافع؛ مبتغياً بذلك وجه الله وأن يحذر أن  
يغتر بعلمه أو أن يطغى به أو أن يستخدمه فيما لا يرضى الله - عز وجل - حتى  
يزيده الله من فضله، ويرفع قدره في الدنيا والآخرة، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا  
بما علمتنا يا رب العالمين.

تنير سُبُلًا لِلْفَلَاحِ فَأَقْبَلُوا  
لَهَا مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ تُظَلِّلُ  
طُوبَى لِمَنْ سَلَكَوا الطَّرِيقَ لِيَكْمَلُوا  
غَيْثٌ عَلَى نَارِ الْجَهَالَةِ يَهْطُلُ  
لَهُمْ عَلَيْنَا الْحَقُّ أَنْ يَتَجَلَّسُوا  
بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ مَا قَدْ يُجْمَلُ  
بِفِكْرِهِمْ فِي الْكُونِ كَمْ يَتَجَوْلُوا  
دِرًّا بِهِ تَاجُ الزَّمَانِ يُكَلَّلُ  
أَقْدَارِهِمْ وَلِلرُّؤُوسِ يُقْبَلُوا  
وَبِهِ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ تَفْضَلُوا

علماءونا في الدروب مشاعلُ  
إلى بحالس علمهم تلك التي  
كانوا على مر الزمان دليلنا  
حصون هذا الدين هم حراسها  
أهل العلوم من الخلائق صفوة  
حملوا أمانة ذا الكتاب وبيينوا  
من بين خلق الله أهل الخشية  
كم غاصوا في بحر العلوم وأخرجوا  
لا خير في قوم إذا لم يعلموا  
فالعقل في تلك الرؤوس قد ارتقى

### نعمة تعبيب الإيمان لقلوبنا

قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ \*فضلاً من الله ونعمة والله عليمٌ حكيمٌ ﴿الحجرات [٧-٨].

نعم إن ذلك فضل من الله ونعمة، فالإيمان مقرُّه قلب العبد، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء فمن جعل الله -عز وجل- قلبه محبباً للإيمان متذوقاً لحلاوته متبعباً لكل ما من شأنه زيادته، فذلك فضل عظيم ونعمة كبرى من الله -عز وجل- يجب على من يعطاها أن يشكر ربه عليها شكراً كثيراً أن جعل قلبه مستقبلاً لكل خير منكرًا لكل شر، وذلك هو القلب السليم؛ الذي يكون كالأرض الطيبة التي لا تنبت إلا أشجار الخير والبر والإيمان.

فالله -عز وجل- إن أراد بالعبد خيراً جعل الإيمان بكل معانيه وصوره محبباً إليه يراه جميلاً في كل حالاته؛ يمتلئ به قلبه حتى إنه لا يترك فيه مكاناً لسواه. وإذا بات القلب ممتلئاً بالإيمان والطاعة فلن يجد الكفر والعصيان والفسوق فراغاً فيه؛ ليتمكن منه بل إن الله -عز وجل- يجعل ذلك القلب ينفر من المعاصي ويراه بغیضة إلى نفسه، وبذلك يكون ذلك العبد من الراشدين الذين يهتدون -بفضل رهم- إلى ما ينفعهم، ويميزون بين الحق والباطل، ويتبعون الصراط المستقيم؛ الذي يبلغهم رضوان الله، ولا يحيدون عنه فأى نعمة، وأي فضل من عليم حكيم.

## نعمة التوبة

الله -عز وجل- لطيف بعباده رحيم بهم لعلمه -عز وجل- بضعفهم فهم خلقه، وهو أعلم بتكوينهم البشرى الذى من مقتضياته أنهم يصيبون ويخطئون فالنفس الأمارة والهوى والشيطان جميعها تؤثر في أفعالهم وقسوة التأثير تختلف باختلاف درجة الإيمان وباختلاف المهمة في مقاومة تلك المؤثرات.

إذن فالخطأ من صفات الإنسان ولا يستطيع امرؤ أن يزعم أنه لا يخطئ، ولا يقترب ذنباً؛ فالرسول ﷺ قال: كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ<sup>(١)</sup>.

فالتوبة -إذن- حاجة ملحة لكل إنسان لا غنى له عنها؛ وإلا فأين يذهب المذنبون والعصاة، وأي باب يترقون لتطهير أنفسهم والرجوع إلى صراط ربهم المستقيم.

من هنا ندرك أن التوبة نعمة عظيمة ورحمة تامة ولطف عميم من الله -عز وجل- امتن به على عباده؛ ليس هذا فحسب بل إنه -سبحانه- يعرفهم طريق التوبة ويهديهم إليها ويوفقهم ثم يتقبلها منهم، بل ويثيبهم عليها فأى كرم يدانى ذلك الكرم الربانى.

والتوبة تجب على كل مسلم في كل وقت، ولا يشترط لها حدوث ذنب أو معصية؛ بل إن النبى -صلى الله عليه وسلم- المعصوم من ربه أتقى الخلق وأطهرهم وأعبدهم لله كان دائم الاستغفار والتوبة لربه -سبحانه- كما أن الله -عز وجل- وأعبدهم لله كان دائم الاستغفار والتوبة لربه -سبحانه- كما أن الله -عز وجل-

(١) أحمد (١٣٣٩٠) والترمذى (٢٤٩٩) وقال الشيخ الألبانى: حسن.

أمرنا بذلك في آيات عديدة من كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور ٣١] وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحریم ٨] فالأمر بالتوبة لم يكن لفئة دون فئة، ولم يكن للعصاة فقط؛ بل إن النداء للمؤمنين -أيضاً- فالجميع يحتاج للتوبة ليس لمغفرة الذنب فقط بل لما فيها من الخير الكثير، وأجل ذلك الخير هو محبة الله -عز وجل- فهو القائل سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [البقرة ٢٢٢].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله<sup>(١)</sup>: [إن التوبة توجب للتائب آثاراً عجيبة من المعاملات التي تحصل بدونها فتوجب له من المحبة والرقعة واللطف وشكر الله وحمده والرضا عنه عبوديات أخرى؛ فإنه إذا تاب إلى الله قبل الله توبته؛ فرتب له على هذا القبول أنواعاً من النعم لا يهتدى العبد لتفاصيلها بل يزال يتقلب في بركاتها وآثارها ما لم ينقضها ويفسدها].

أي أن الخير ليس في التوبة فقط؛ ولكنه يتعداها إلى ما يليها من آثار محمودة وبركات ملموسة مثل المحبة والرقعة وشكر النعم والرضا عن الله وكثير من النعم التي تترتب على قبول الله -عز وجل- التوبة من عبده.

والعبد إذا أحدث توبة نصوحاً بكل أركانها من إقلاع عن الذنب وندم عليه وعزم على عدم العودة إلى ذلك الذنب؛ فإنه يكون بعد التوبة أفضل منه قبل

التوبة، ومن يتبنون هذا الرأي لهم حجتهم كما ورد ذلك في كتاب طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم حيث قالوا: [فالذنب بمنزلة المرض والتوبة بمنزلة العافية والعبد إذا مرض ثم عوفي وتكاملت عافيته رجعت صحته إلى ما كانت عليه؛ بل ربما رجعت أقوى وأكمل مما كانت عليه؛ لأنه ربما كان معه في حال العافية آلام وأسقام كامنة؛ فإذا اعتل ظهرت تلك الأسقام، ثم زالت بالعافية جملة فتعود قوته خيراً مما كانت وأكمل<sup>(١)</sup>].

ومن تمام شكر تلك النعمة أن يعلم العبد أن الله -عز وجل- هو الذى يوفقه للتوبة ويرشده إلى سبلها؛ إن علم فيه خيراً وعزماً وسعيًا جادًا في مجاهدة نفسه ورغبة في العودة إلى ربه -سبحانه- ثم هو يقبلها منه، ويريه من بركاتها الشيء الكثير؛ أي: إنه -سبحانه- هو المتفضل أولاً وآخرًا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة ١١٨] فلنحمد الله -عز وجل- أن جعل لنا التوبة بابًا لا يوصد، وأملًا يحول بيننا وبين اليأس من رحمته، ونصرة لنا على إبليس اللعين، وحصنًا يلوذ به العصاة، وهو الغني عنا -سبحانه- فلا تضره معاصينا، ولا تنفعه طاعتنا.

أدعوك يا رحمن في قلب الدجى  
فبحار جودك من أتاها قد نجى  
ولكم يجهل للسدنايا قد هفا  
فأجره يا رباه أنت المرتجى

قد جئت باب العفو يحدوني الرجا  
اغفر لعبدك ما جنته يمينه  
يا رب مل القلب من طول الجفا  
كم بات من درب الهلاك على شفا

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (٣٥٦).

لا.. لا أرى لجموح نفسي كائجًا  
ولست أدرك في حياتي منهاجًا  
فمن سواك يجير القلب الكسير  
فاجعل لنا من كل ضيق مخرجًا  
من ظلم نفس والسبيل هديتي  
منحتني قلبًا جديدًا باليقين مُسْرَجًا

كم بت في بحر الأمان ساجيًا  
فلا أجيب لسان صدق ناصحًا  
لا تطردني من رحابك يا مجير  
وإن عفوت فلا أبالي بالمصير  
حمدًا لك اللهم أن عافيتني  
من بعد طول الصبر عنك

### نعمة أن الله هو الحي القيوم

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا مَنَ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ  
بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ﴾ [البقرة ٢٥٥]

وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن كثير: [الله لا إله إلا هو إخبار بأنه هو  
المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق، (الحي القيوم) أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا  
القيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره،  
وقوله: لا تأخذه سنة ولا نوم أي: لا يعتره نقص ولا غفلة ولا زهول عن خلقه؛  
بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء  
ولا يخفى عليه خافية<sup>(١)</sup>].

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١/٢٣٠)

وتلك نعمة من الله -تبارك وتعالى- على عباده؛ فكونه -عز وجل- حيًّا لا يموت، وقيومًا على عباده فذلك من كمال التثنية له -سبحانه- عن النقص، وذلك الكمال يورث الأمن والطمأنينة في قلب العبد المؤمن ليقينه بأن للكون ربًّا قَيُومًا؛ لا يغفل ولا ينام وما من ذرة في الأرض ولا في السموات إلا يعلمها، وكل شيء يجري في هذا الكون بقدره وتحت سمعه وبصره لا يشغله سمع عن سمع ولا تختلط عليه اللغات، ولا يعجزه أمر مهما عظم، ولا يستغني مخلوق عنه -سبحانه وتعالى- ولا يجري في الكون شيء مهما دق إلا ويحيط به علمًا حتى حديث النفس.

وذلك من تمام المنة علينا وعلى الناس أجمعين؛ بل وعلى كل المخلوقات التي يشملها ذلك الفضل العظيم والتي تفتقر إلى ربها على الدوام، فلولا قيوميته -تبارك وتعالى- لفسدت السموات والأرض ولغاب العدل والقسط، ولاختل ميزان الكون فلك الحمد يا ربنا على أنك أنت ربنا.

#### نعمة أن الرزق بيد الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]

وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

[المنافقون: ٧]

أحدًا على رزق الله، ولا تلوم أحدًا على ما لم يؤتك الله؛ فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره].

وحريٌّ بنا أن نذكر أن الرزق لا يقتصر على المال كما يظن السبعس بل إن الرزق هو كل ما يهبه المولى -تبارك وتعالى- للإنسان؛ فالصحة رزق والأولاد رزق والزوجة الصالحة رزق، وكذلك العلم والحكمة والفهم والتقوى والطاعة والرضا والصبر والشكر؛ كل ذلك أرزاق من الله وغيرها كثير، فسبحان من بيده ملكوت السموات والأرض ومن يقدر الأرزاق بحكمة بالغة وكرم عميم لا يكون إلا للرب كريم

#### نعمة أن العصاب بيد الله

كما أن الله -عز وجل- جعل الرزق بيده وحده رحمة بعباده وتفضلاً، كذلك جعل الحساب.

فإنه -وحده- هو من يحاسب العباد على أعمالهم؛ فيثيب المحسن ويجازي المسيء، وحساب الله لعباده فيه من العدل أكمله، ومن الرحمة أتمها، فهو الحكم العدل، وهو الغفور الرحيم؛ فلا يُظلم عنده أحد، ولا تُوصد أبواب رحمته وكرمه، يجزي من أحسن جزاءً مضاعفاً، ويجزل له العطاء، ويربي له أعماله الصالحة، ويزيده من فضله ويجازي المسيء بقدر ما أساء وقد يتجاوز عنه ويفتح له باب التوبة، وإن تاب توبة نصوحاً بدّل له سيئاته حسنات كما قال سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[القصص ٨٤] وقال عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان ٧٠]

فأين يجد المرء لهذا الفضل نظيراً؟ والله لا يكون ذلك إلا من رب كريم، بعباده رؤوف رحيم، يوفقههم للطاعة ثم يثيبهم عليها كأحسن ما يكون الثواب، ويتجاوز عن معاصيهم إن هم تابوا إليه؛ يفعل ذلك وهو - سبحانه - غني عنهم لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم كما قال سبحانه في الحديث القدسي<sup>(١)</sup>: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُمْكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَثْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٧٧.

اللَّهِ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. فلنحمد الله -عباد الله- على أن جعل الحساب بيده وحده لا ينازعه في ذلك أحد؛ لأن العدل المطلق لا يكون إلا مع الحكم العدل الذي لا يختل ميزانه، العليم الخبير الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الغني عن عذابنا، العفو عن مقدرة المتفضل على عباده.

### نعمة الجنة

الجنة إنها غاية الغايات وأعلى الأمنيات، وكيف لا وهي الدار الباقية الخالدة للمتقين، والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر للجنة التي يسعى لها الصالحون، ويبدلون من أجلها الغالي والنفيس، وكيف لا يفعلون وفيها حياتهم الحقيقية إن هم كانوا من أهلها، وكيف لا يفعلون والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار؟! وذلك المصير محتوم لا فرار منه. فالجنة درة النعم وغاية الكرم من رب العالمين على عباده المحسنين، يدخلونها بفضلهم ومنته؛ لأن أعمالهم مهما كانت لا تساوي ما أعد لهم الله -عز وجل- من نعيم في جنات الخلد، ولكنه الرب الرحيم والملك الكريم الذي يجزي المتقين الصالحين بغير حساب، ويربي لهم أعمالهم ويتغمدهم برحمته على ما كان منهم من تقصير.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن وصف الجنة، وما فيها من نعيم، وكيف أنها فضل عظيم من رب العالمين كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها،

ومنها آيات مجملة كقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ [الزخرف ٧١]

وقوله عز وجل عن حال أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر ٧٣-٧٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران ١٨٥]

فالفوز كل الفوز لمن نجا من النار ووطئ الجنة بقدميه، فما بالك بمن يدخلونها قبل أن ينتهي الحساب في أرض المحشر؟! وما بالك بمن يدخلونها بغير حساب ولا سابقة عذاب؟! وما بالك بأهل الفردوس الأعلى الذي سقفه عرش الرحمن عز وجل؟!.

فاللهم ارزقنا الجنة وكل ما يقرب منها من قول أو عمل، وباعد بيننا وبين معاصيك كما باعدت بين المشرق والمغرب، وعاملنا بالفضل لا بالعدل يا أرحم الراحمين.

### نعمة تكريم الله عز وجل للإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

فالإنسان قد كرمه الله -عز وجل- إكراماً لم يكن لغيره من المخلوقات التي يمتلئ الكون بأنواعها وأشكالها المتباينة؛ والتي لا يستطيع أحد أن يحصيها إلا بارئها -سبحانه- ليس هذا فحسب بل إن الله -عز وجل- جعل الكون كله بما فيه مسخرًا للإنسان، وحسبه تكريمًا أن الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته أن يسجدوا له ولو لم يكن من تكريم الله للإنسان إلا ذلك لكفاه؛ ليشكر الله في كل وقت على تلك النعمة العظيمة، ولو تعرضنا باختصار لصور تكريم الله -عز وجل- للإنسان لوجدنا أن منها على سبيل المثال:

- أن الله عز وجل خلق الإنسان في أجمل الصور وأبدعها وأقومها كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وكما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧] فالإنسان هو أرقى المخلوقات على الأرض.

- أن الله -تبارك وتعالى- ميز الإنسان بالعقل والتفكير؛ لكي يهتدى به إلى ربه من خلال الآيات الكونية والإعجاز الرباني في كل ما يحيط به كما أن العقل هو مناط التكليف ولولا العقل لما كان للحياة على الأرض فائدة، ولما صلحت ولا عمرت ولما نزلت الكتب السماوية، ولا أرسل الرسل الكرام ولا جعل الحساب

ولا خلقت الجنة والنار؛ لأن الإنسان بلا عقل لا فرق بينه وبين غيره من المخلوقات.

- أن الله -عز وجل- كرم بني آدم على غيرهم من المخلوقات بالفضيلة؛ التي تكبح جماح النفس البشرية وتقيدها بشرع الله -عز وجل- وبأمره ونهيهِ فلا يستطيع الإنسان أن يفعل كل ما تهوى نفسه أو أن ينقاد وراء شهواته وغرائزه بلا ضابط؛ لأنه لو فعل لكان كالأنعام بل أضل، فالإنسان صاحب الفطرة السوية هو من يحيا في سياق من الشرع والأخلاق والفضائل؛ التي تجعل منه مخلوقاً راقياً يستحق أن يكون خليفة في الأرض.

ومن صور التكريم -أيضاً- أن الله -عز وجل- رزق الإنسان القدرة على البيان كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن-٣-٤]

فالإنسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي له القدرة على التعبير عما يريد وما يشعر.

وذلك البيان بدونه لم يستطع الإنسان التعايش والتفاهم مع غيره من البشر، ولما استطاع الرسل أن يبلغوا رسالات ربهم إلى الناس، ولما عرف البشر كيف يعبدون ربهم؟! ولما ذكر الله -عز وجل- في الأرض!.

وكرم الله الإنسان -أيضاً- بالستر؛ فترى الإنسان هو الوحيد الذي يستر جسده بأنواع اللباس المختلفة؛ إكراماً لآدميته وستراً لعورته، وتحميلاً لمظهره كما

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]

وهناك صور عدة لتكريم بنى آدم على سائر المخلوقات لا يمكننا إحصاءها، ولكن علينا أن نحمد الله -عز وجل- حمداً موصولاً على تلك النعمة العظيمة؛ نعمة التكريم، كما علينا أن نسعى جاهدين؛ لكي نكون أهلاً لهذا التكريم من الله عز وجل.

### نعمة الأمن والأمان

قال الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \*الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]

فالأمن نعمة ينعم الله بها على عباده، وهى نعمة جليلة لا يستشعر قيمتها وقدرها إلا من ابتلى بفقدائها والآية الكريمة تبين لنا أن الأمن والأمان إنما يكون لمن آمن بالله -عز وجل- إيماناً صادقاً؛ لا يخالطه ريب ولا ظلم.

فمن امتلأ قلبه إيماناً بربه -تبارك وتعالى- وغدت حياته كلها عبادة لله -عز وجل- وكان يقينه فى الله يقيناً راسخاً لا تغيره حوادث الأيام، فذلك لا محالة يكون ممن يتمتعون بنعمة الأمن لا سيما الأمن الداخلى الذى يعم نفسه وقلبه؛ لأنه حينها يدرك أن ما يصيبه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فكل ما فى

الكون يسير بقدر الله - عز وجل - قبل أن يخلق الخلق؛ فالفريق الذى يهتدى بتوفيق الله - عز وجل - إلى ذلك الفهم فهو المستحق للأمن.

أما الفريق الآخر ممن أشركوا برهم ولم يسلموا وجوههم إليه - سبحانه - فتراهم لا يشعرون بتلك النعمة العظيمة؛ لأنهم شغلوا بالدنيا حتى صارت أكبر همهم ومبلغ علمهم، فهم فى حالة خوف دائم يخافون على أموالهم، وعلى ما يمتلكون من أعراض الدنيا الزائلة ويخافون من الموت؛ لأنه بالنسبة لهم يمثل نهاية أمرهم فتجدهم أحرص الناس على حياة، يجتهدون فى التمتع بحياتهم فى الدنيا بكل السبل، ورغم ذلك تجدهم لا يشعرون بالسعادة الحقيقية، والى من أهم أركانها الشعور بالأمن والطمأنينة.

ولقد امتن الله - عز وجل - على عباده بتلك النعمة فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة موضحاً لهم - سبحانه - أن الأمن نعمة تستوجب الشكر الجزيل فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قرش ٣-٤].

وقال سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - حين دعا ربه: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة ١٢٦] يقصد مكة المكرمة فدعوة الخليل كانت بالأمن لتلك البقعة المباركة، مما يدل على عظم تلك النعمة الجليلة، ولقد استجاب المولى - عز وجل - دعاء خليله فجعل أرض الحرم يغشاها الأمن والأمان على مر العصور كما ذكر ذلك سبحانه

في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت ٦٧]

فبين الله - سبحانه وتعالى - أن الأمن نعمة يجب ألا يكفر بها من أعطاه الله إياها؛ بل يجب عليه أن يعترف بها ويؤدي شكرها.

ومن الآيات التي توضح لنا أن الأمن نعمة يعطيها المولى - عز وجل - أهل الإيمان الذين يشكرون الله عليها، ويتزعمها من أهل الكفر والنكران ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل ١١٢]

ولقد نزلت في بني إسرائيل وكذلك ما ذكره الله - عز وجل - من أنباء (سبأ) في القرآن الكريم؛ حيث كانوا يعيشون في رغد من العيش، وقراهم كانت متقاربة وأشجارها مثمرة ومياهها وفيرة؛ حتى إن المسافر يستطيع أن يجد زادًا وماءً ومستراحًا في أي مكان شاء؛ فلا يجد مشقة السفر التي قد يُجدها غيره، كما أن طرقهم كانت آمنة للسيارة، وإن طالت مسافة السفر وزمنه، ورغم ذلك كله فقد جحدوا نعم الله عليهم ولم يشكروه كما أمرهم كفرًا وإعراضًا؛ فكان الجزء من الله - عز وجل - أن سلبهم تلك النعم التي لم يقيدوها بالشكر.

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن الأمن نعمة يمن الله بها على من يستحقها من أهل الإيمان والشكر، وقد يمن بها على قوم لئيلتهم، فإن شكروا زادهم، وإن جحدوا وكفروا نزعها منهم وأبدلهم مكانها خوفًا، ولقد جمع رسول الله أسباب

الحياة الطيبة في الدنيا في قوله صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

وقد يقول قائل: إن هناك الكثير من بلاد الإسلام لا يشعر أهلها بالأمن بل قد يحيون في حالة من الخوف الدائم؛ الذي قد يصل في بعض الأحيان إلى الرعب كما هو الحال في فلسطين الحبيبة أو في العراق أو غيرها من بلاد الإسلام، فنقول: إن هؤلاء هم من أهل الابتلاء فقد يتلى الله -عز وجل- المؤمنين؛ ليمحصهم وليميز الخبيث من الطيب كما قال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد ٣١]

وقال سبحانه: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة ١٥٥]

فالله -عز وجل- قد يتلى قومًا بشيء من الخوف وضيق الرزق ليس عقابًا لهم على معاصيهم؛ ولكن ليعلم المجاهدين في سبيله وليعلم الصابرين على قضائه فيجزئهم بذلك الصبر والجهد ما ينسيهم ما لاقوه من عناء ومشقة ويرفعهم درجات لا يعلمها إلا هو -سبحانه- في جنات لا خوف فيها ولا نصب.

فاللهم ارزقنا الأمن والعافية في الدنيا والآخرة، وامنحنا قلوبًا مطمئنة بذكرك، واملأ بلاد المسلمين أمنًا وأمانًا.

(١) (حسن): الترمذي ٢٣٤٦، صحيح الجامع ٦٠٤٢.

### نعمة إقامة الحدود

لا شك أن المجتمع البشرى منذ بدأ الخليقة، وحتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة مجتمع يحوى أنواعاً متباينة من البشر يتصارع فيه الخير والشر على الدوام؛ فالبشر ليسوا كالملائكة؛ الذين جُبلوا على طاعة الله وعبادته بل هم على درجات مختلفة من الإيمان والهمة واليقين؛ فمنهم من تغلب عليه فطرته القويمة التي فطره الله -عز وجل- عليها فتراه عابداً لله متبعاً للأمر مجتنباً للنهي مقيماً لشرع الله -عز وجل- مراقباً له في كل أحواله.

ومنهم من يكون إلهه هواه وشيطانه يسيره كيف يشاء لا يراعى حرمة، ولا يبالي بما يفعل من أمور تنافي الفطرة، وتغضب الله -عز وجل- وهناك صنف بين الصنفين.

وما دام الله -عز وجل- قد خلق الناس على ذلك، وهو أعلم بمن خلق وأعلم بما يصلحهم، فمن رحمته -تبارك وتعالى- شرع لهم حدوداً وأمرهم بإقامتها حفظاً للحرمات وللحقوق وإنصافاً للمظلوم وردعاً للظالم؛ حتى تستقيم الحياة وإلا فسوف تتحول إلى مجتمع همجي أشبه ما يكون بالغابة التي تقوم على مبدأ أن البقاء للأقوى.

فالحدود نعمة من الله -عز وجل- على خلقه، ولو أنها أقيمت كما أرادها الله -عز وجل- منا لاختلفت صورة الحياة؛ لأن الله ما شرع لنا أمراً إلا وفيه صلاح أمرنا، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]

[ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير تلك الآية: يقول تعالى: وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصورها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس<sup>(١)</sup>].

أي: أن حكم الله -عز وجل- بأن يُقتل القاتل فيه حكمة كبيرة من الله بل وفيه رحمة، وإن بدا الأمر على عكس ذلك للوهلة الأولى، ذلك أنه لو علم من ينوى القتل أنه إن فعل فسوف يقتل كان ذلك مانعاً له من القتل، فيكون في ذلك حياة للنفوس التي قد ترهق بالقتل.

وكذلك الحال بالنسبة للسارق فلو أنه علم أن حد الله سيقام عليه إن سرق، والحد هو قطع اليد؛ فلا بد أنه سيرتدع، وكذلك الحال بالنسبة لحد الزنا وحد شرب الخمر إلى غير ذلك من الحدود المبينة في كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- والخلاصة أن إقامة الحدود التي شرعها الله -عز وجل- لعبادة لها من الفوائد والحكم ما قد تعجز عقولنا عن إدراكه ولو أردنا أن نذكر جانباً منها لقلنا إنها:

- تحفظ الحقوق وتصون الحرمات مما يسهم بشكل واضح في صلاح المجتمع.
- إنها رادعة لمن تسول له نفسه أن يأتي بفعل يوجب القصاص.

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١٥٧/١)

- إن فيها تطهيراً لمن اقترف جرماً وذلك بتعجيل العقاب له في الدنيا؛ حتى يلقي الله -عز وجل- مطهراً من ذلك الجرم وعقاب الدنيا أهون من عقاب الآخرة.

- إنها تكون سبباً للاعتبار وزيادة التمسك بحدود الله -عز وجل- من قبل أهل الإيمان حيث تزداد تقواهم لله ويقينهم بعظيم حكمته -سبحانه- في كل ما شرع لهم.

كما أنها تكون مدعاة لهم لشكر الله -عز وجل- على ما أنعم عليهم به من توفيق للطاعات وعصمة من اتباع الهوى والشيطان.

### نعمة إخفاء الأجل

من عظيم فضل الله على عباده وجميل حكمته -عز وجل- أنه أخفى عنهم آجالهم، وجعل ذلك في علمه -سبحانه- وتلك نعمة من الله على عباده لو تأملها كل ذي لبٍّ لوجد فيها حكمة عظيمة، فالله -عز وجل- لو أعلم كل امرئ بمقدار عمره وبساعة انتهاء أجله فكيف تكون الصورة؟!.

من المؤكد أن الصورة ستختلف اختلافاً بيناً؛ فالإنسان لو علم أن عمره في هذه الدنيا قصير كان في ذلك مدعاة لأحد أمرين؛ إما أن يجتهد في الطاعات والعبادات بشكل يطغى على دوره في إعمار الأرض والسعى على الرزق، فتراه زاهداً في الدنيا وما أحل الله له فيها يعيش في حالة من الترقب والتربص، ينتظر الأجل يملؤه الخوف، ولا يجد الأمل إلى نفسه سيلاً، والأمر الثاني أنه إن كان من محبي الدنيا ونعيمها الزائل انغمس في شهواته وملذاته، وأصابه اليأس من إمكانية التوبة والعودة

إلى ربه وعمل الصالحات التي توصله إلى رضوان الله في هذه المدة القليلة، فيختار أن يأخذ من الدنيا ما يستطيع.

وعلى الجانب الآخر فإن المرء إن علم أن عمره طويل في هذه الدنيا، فقد يجعله ذلك يفعل كل ما يوافق هواه من معاصٍ وذنوب غير مبال بالتمادي في ذلك؛ فهو مطمئن أن العمر ما زال فيه الكثير، وكأن لسان حاله يقول عندما يقترب الأجل: أتوب وأعمل الصالحات؛ التي توصلني للجنة، وبذلك أكون قد أخذت من الدنيا والآخرة بحظ وافر.

وفي كل تلك الأحوال فإن الفساد يكون عظيمًا؛ لأن الله -عز وجل- لا يرضيه أن يقنط العبد من رحمته ولا يرضيه -سبحانه- أن ينقطع العبد للعبادة ولا يسعى في عمارة الأرض كما لا يرضيه -سبحانه- أن يرجئ العبد توبته؛ حتى يفرغ من قضاء شهواته وملذاته التي يداوم عليها، ويصر على فعلها.

فإن الله سبحانه لا يقبل التوبة إلا ممن فعل الذنب وهو يجهل حكمه، أو أنه يعلم أنه ذنب ولكنه فعله عن ضعف في نفسه أو في إيمانه، ولكنه من داخله ينكره ويتمنى أن لا يعود إليه وفي نفسه شيء من الخشية والخوف من الله -عز وجل- ولا تتولد تلك الخشية إلا إذا علم الإنسان أن الموت قد يباغته في أي لحظة، وأنه بيد الله -عز وجل- الذي له غيب السموات والأرض.

إذن فلنحمد الله -عز وجل- على أنه -سبحانه- أخفى عنا آجالنا؛ حتى نسعى في دنيانا بالأمل، ونسعى لأخرانا بصالح العمل.

## نعمة النسيان

النسيان هو من الصفات التي جعلها الله -عز وجل- في بني آدم، ونزه نفسه - سبحانه- عنها؛ لأنه نوع من النقص وربنا مترءة عن كل نقص قال تعالى: ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه ٥٢]

والنسيان في بعض الأحيان يكون نعمة عظيمة، وفي أحيان أخرى يكون عكس ذلك؛ بمعنى أن الإنسان إن كان ديدنه النسيان في كل شيء فذلك أمر مذموم، وإن كان ديدنه التذكر والحفظ على الدوام فذلك مذموم أيضاً، ولكن تمام النعمة من الله -عز وجل- أن يهب الإنسان التذكر والنسيان كلا في موضعه.

ومن الأمور التي يعتبر فيها النسيان نقمة على صاحبه أن ينسى أمور دينه أو غاية خلقه أو أن ينسى ما يجب عليه تجاه ربه -عز وجل- من اتباع للأمر واجتناب للنهي أو أن ينسى تفاصيل العبادات؛ التي لا تصلح بدونها أو نسيان الإحسان والتنكر لصاحبه: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة ٢٣٧] وكذلك نسيان الإساءة وعدم الحذر ممن أساء، وكذلك نسيان العلم بكل صورته وأشكاله، ونسيان ما يمر به من تجارب وعدم أخذ العبرة منها، ونسيان نعم الله -عز وجل- وبالتالي عدم أداء شكرها إلى آخر تلك الأمور التي لا يحمد فيها للنسيان.

أما الوجه الآخر وهو كون النسيان نعمة في بعض الأحيان بل ومن أجل النعم، فمن ذلك ما يكون من نسيان ما قد يألّفه المرء من ذنوب أو معاصي وكذلك نسيان الحزن والألم بعد مرور فترة من الزمن على ما أصابه من مصائب، والتي قد

يتصور وقت حدوثها أن تلك نهاية العالم وأن الحزن والحسرة هما رفيقاه طيلة حياته، فالنسيان في تلك الحالة هو نعمة ورحمة من الله عز وجل.

ومن ذلك -أيضاً- المواقف والذكريات التي قد يوقظ تذكرها الضغائن والأحقاد وقسوة القلوب.

وكذلك نسيان أو لنقل تناسي ما يكون من المرء من أعمال الخير والبر والطاعات لا سيما ما يخفى منها عن أعين البشر؛ لأن في ذلك مدعاة لتمام الإخلاص وعدم الانشغال بما تم عمله، والنظر فيما يجب أن يعمل؛ لأن الإنسان لو ظل على الدوام يتذكر ما كسب من الأعمال الصالحات لأصابه العجب ولشغله ذلك عن المزيد من تلك الأعمال التي تقربه من ربه عز وجل.

كما أن النسيان قد يكون نعمة لحافظ القرآن الكريم، ولكن في هذه الحالة نقصد النسيان بشكل جزئي أي: (التفلة)؛ لأن ذلك يدفعه إلى المداومة على القراءة والمراجعة وتثبيت الحفظ مراراً وتكراراً فيكون ذلك زيادة له في الأجر بإذن الله.

وعلينا أن نعلم أن النسيان كما أنه نعمة من الله فهو -أيضاً- بقدر الله -عز وجل- ولا يكون إلا لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه؛ فقد يحزن المرء على نسيان أمر من الأمور أو موعد يرى أنه من الأهمية بمكان، ويتألم لذلك كثيراً؛ ثم يدرك بعد ذلك أن الخير كل الخير فيما قدر الله له من ذلك النسيان فيحمد الله -عز وجل- على ذلك.

ولنعلم أن النسيان منه ما يكون من فعل إبليس - عليه لعنة الله - ليصرف العبد المؤمن عن طاعة ربه - عز وجل - أو يفوت عليه خيراً؛ لذلك يجب علينا أن نستعيد بالله من همزات الشياطين، ونكون على يقين تام أن الشيطان ليس له من سلطان على من كان في معية ربه عز وجل.

فلنسأل الله - عز وجل - أن يصرف عنا غواية الشيطان ووساوسه، وألا يجعلنا ممن ينسيهم ذكر الله - عز وجل - ونسأله إن نسينا أن يرزقنا سرعة الرجوع إليه، وأن يمنحنا صفحه وغفرانه، وأن يجعلنا ممن يستجيب لأمره حين يقول: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

ونعوذ به - سبحانه - أن نكون ممن ينسون آياته، ويعرضون عن ذكره فينساهم - سبحانه - يوم البعث والحساب قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]

واجعلنا يا ربنا ممن قلت فيهم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ [البقرة: ١٥٢] وكفى بذكرك لعبدك يا ربنا من نعمة لا يسعنا شكرها.

### نعمة الوقت ونعمة الإمهال

عمر الإنسان ما هو إلا أيام وساعات ما يمضى منها لا يعود أبداً، وما يتبقى منها لا يعلم مقداره إلا الله؛ فالعمر ينتهى فى لحظة وحينها يكون مصير العبد مرهوناً بما قدم من أعمال فى حياته طالت أم قصرت.

والله -تبارك وتعالى- يحاسب العبد على عمره في الدنيا كيف أفناه؟ وفي أى شيء قضاه كما قال رسول الله ﷺ (١): لا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ.

فالأسئلة التي تحدد مصير العبد يوم الحساب والتي على إثرها يكون العبد إما من الناجين -نسأل الله أن تكون منهم- أو من المهالكين -نعوذ بالله من ذلك- منها سؤالان يختصان بالعمر والوقت.

فالأمر جد خطير، وعلى كل منا أن يحاسب نفسه على ما ضيع من أوقات ويجذر من تفلت العمر من بين يديه دون أن يشعر ويجذر من طول الأمل مع قلة العمل؛ وليحمد ربه كلما طلعت عليه شمس يوم جديد على أن مد له في عمره ليمهله؛ فالإمهال من الله نعمة أخرى تستوجب الشكر؛ لأن الله حين يمهلك فهو -سبحانه- يتفضل عليك بأن يجعل لك فرصة للرجوع إليه والتوبة من الذنوب في دار العمل قبل أن تنتقل إلى دار الجزاء التي لا ينفع فيها إلا ما قد سلف.

فكون الله -تبارك وتعالى- يمهلك مزيداً من الوقت ولا يأخذك على معصية وهو -سبحانه- على ذلك قادر؛ فتلك نعمة يجب أن تؤدي شكرها، ومن شكرها أن تقلع عن معاصيك، وترجع إلى الله وتسارع في الخيرات، وتحسن استثمار ساعات عمرك، فأنت لا تدري متى تكون النهاية.

(١) الترمذي ٢٦٠١. صحيح الجامع ٧٣٠٠ من حديث أبي برزة.

ومما قيل في قيمة الوقت ما قاله ابن القيم رحمه الله: [إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها<sup>(١)</sup>].

وكما قيل: [الوقت هو رأس مال العبد الذي فيه يتاجر مع ربه -عز وجل-  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(٢)</sup>: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي  
الْجَنَّةِ» سُبْحَانَ اللَّهِ! فَكَمْ ضَيَعْنَا مِنْ نَخِيلٍ وَتَوَابٍ عَظِيمٍ مِنْ رَبِّ جَلِيلٍ<sup>(٣)</sup>].

وأهل العلم هم أكثر الخلق دراية بنعمة الوقت، وتراهم أكثر الناس حرصاً على ألا تمر عليهم ساعة دون أن ينالهم فيها من الخير شيء، والنماذج في أمتنا الإسلامية أكثر من أن تحصى؛ فالسلف الصالح قد أعدهم الله -عز وجل- لحمل أمانة هذا الدين العظيم وتناقله عبر الأجيال ومن إعداد الله -عز وجل- لهم أن يبارك لهم في أوقاتهم، ورزقهم المعرفة بقيمة الزمن وحسن استثماره والخوف الشديد من إضاعته فيما لا ينفع ومما أثر في ذلك نذكر بعض الأمثلة:

[عن فرقد -إمام مسجد البصرة- أنهم دخلوا على سفيان في مرض موته فحدثه رجل بحديث فأعجبه، وضرب سفيان يده إلى تحت فراشه فأخرج ألواحاً فكتبه فقالوا له: "على هذه الحال منك؟" فقال: إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسناً، وإن مت فقد كتبت حسناً<sup>(٤)</sup>].

(١) الفوائد ٤١.

(٢) (صحيح): الترمذي ٣٤٦٤، صحيح الجامع ٤٥٧٢.

(٣) البحر الرائق ١٩٥.

(٤) علو الهمة ٢٠٧.

[ رأى الإمام أحمد بعض عارفه في إحدى رحلاته في طلب الحديث، فقال له معترضاً مستكثراً ما حفظ وما كتب وما روى: "مرة إلى الكوفة، ومرة إلى البصرة" إلى متى؟ فقال الإمام أحمد: "مع المحبرة إلى المقبرة"<sup>(١)</sup>].

[كان أحد الصالحين إذا ثقل الناس في الجلوس عنده يقول: أما تريدون أن تقوموا إن ملك الشمس يجرها لا يفتر<sup>(٢)</sup>].

فالوقت كثر ثمين يجب على كل ذي لب ألا يتركه ليذهب سدى دون أن يدخر فيه من الأعمال الصالحة ما يكون زاداً له يعنيه على طول السفر.

ولنعلم أحبتي في الله أن الأمة حين قدرت لهذه النعمة العظيمة قدرها وعمل أبنائها بمجد ودأب، ولم يمضوا أوقاتهم في اللعب واللهو وترف الحياة رزقهم الله - عز وجل - التمكين والعزة فسادوا الدنيا، ورفعوا راية الإسلام خفاقة، ولم يتبدل بهم الحال إلى ما نراه الآن إلا حين ضيعوا أعمارهم؛ فيما لا ينفع وركنوا إلى الكسل والتواكل، وانغمسوا في شهوات الدنيا ومتعها الزائلة - إلا من رحم ربي - فعلى كل مسلم أن يتقي الله في نفسه، ولا يدعها تتسرب من بين يديه جزءاً جزءاً فما نفسه إلا ساعاته في هذه الحياة، ولو تخيلنا أن اليوم تحدث إلى ابن آدم لقال له:

أنا مَنْ مَكَانِي فِي الْحَيَاةِ وَمَوْعِدِي	ما بين أمس قد تولى والغد
إِنِّي لَيَوْمِكَ ذَا الَّذِي تَحِيَابُهُ	موتى مع نور الصباح ومولدى
ضَيْفٌ عَلَى هَذَا الْوَجُودِ أَزُورُهُ	وعلى فعالك يا ابن آدم شاهد

(١) علو الهمة ٢٠٨.

(٢) البحر الرائق ١٩٦.

خيراً يكن زاداً ليوم المشهدِ  
فكيف أعصى خالقى ومقيدى  
ومكانى فى سفر الزمان ومرقدى  
من يشكر الله ومنهم جاحدِ  
ومن به عاف الكرى يتجهجدِ  
منى وإخوانى.. وحتماً ينفدِ  
فاحذر فراقى دون نيل المقصدِ

أنا صفحة بكتاب عمرك فاغتنم  
أنا من جنود الله عبدٌ طيِّعُ  
أنا إن رحلت فلن أعود إلى الدنا  
رزقٌ يُساق إلى العباد فمنهمو  
لا يستوى من بات ليلىَ لاهياً  
العمر حباتٌ بعقد أصلها  
فإذا مضيتُ فقد ذهبَ ببعضه

### نعمة المنح الربانية

إن الله -تبارك وتعالى- يعطى لعباده منحةً وعطايا ربانية لا يبلغها عملهم أبداً  
رحمة بهم وأخذاً بأيديهم إلى سبيل الخير ودرب النجاة ويمهد -سبحانه- لعباده  
الطريق إلى جنته وينشر رحمته وكرمه على تلك الطريق وبرغم ذلك نجد من يأبى  
إلا طريق الهلاك الملىء بالقلاقل والأهواء والفتن؛ والمنح الإلهية أكثر من أن يحصيها  
قلم؛ ولكن لا ضير إن نحن تذاكرنا بعضاً منها؛ لنذكر ما نحن فيه من كرم ربنا  
تبارك وتعالى:

- إن الله -عز وجل- جعل الصلاة إلى الصلاة مكفرات للذنوب ما خلا  
الكبائر، وكذلك الحال ما بين الجمعتين وما بين رمضان ورمضان؛ فعن أبي هريرة  
أن النبي ﷺ قال<sup>(١)</sup>: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى  
رَمَضَانَ مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».

- إن ربنا -تبارك وتعالى- جعل من يؤدي فريضة الحج إن استطاع إليها

(١) (صحيح): مسلم ٢٣٣، ابن ماجة ١٠٨٦، أحمد ٧٠٨٩.

سيلا- كما يجب أن تؤدي رجوع من حجة كيوم ولدت أمه؛ حيث قال رَسُولُ اللَّهِ فِي شَأْنِ الْحَجِّ<sup>(١)</sup>: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ<sup>(٢)</sup>» أَي: عَادَ كَقَلْبِ طِفْلِ؛ قَلْبُهُ بَرِيءٌ مِنَ الْعِلِّ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، عَادَ قَلْبًا طَاهِرًا وَجِسْمًا بَرِيئًا مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَ لَنَا فِي أَيَّامِ دَهْرِنَا أَيَّامَ خَيْرٍ وَبِرَكَّةٍ، فَجَعَلَ لَنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَالَّتِي إِنْ أُدْرِكَهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا لَا يَدَانِيهِ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَلَوْ جَمَعَ لَهُ.

وكذلك من الله علينا بأيام لصائمها ثواب عظيم مثل يوم عرفة؛ الذي يكفر ذنوب عام خلا ويوم عاشوراء والأيام التسع الأولى من ذي الحجة وأيام شهر شوال الستة وغير ذلك من الأيام التي يضاعف فيها الأجر أضعافاً لا يعلمها إلا صاحب الأمر فيها سبحانه.

### نعمة الزوج والذرية

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم ٢١]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنَبَعْتَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل ٧٢]

(١) (صحيح): مسلم ١٣٥٠، الترمذى ٨٨١، النسائي ٢٦٢٧.

(٢) (ولدت أمه) من جميل الفاظ النبي، فكما نزل في لفتين حول جسمه، فهو الآن - في الحج في لفتين أيضاً، والحج المبرور يغفر الذنوب؛ وليس له جزاء إلا الجنة.

فالزواج نعمة والأبناء نعمة بنص القرآن الكريم، ويلمسها كل منا في حياته، فالزواج سنة من سنن المولى -عز وجل- في خلقه بها يكون بقاء النوع وبها تعمر الأرض ذلك بشكل عام، ولو تحدثنا بشكل يخص الإنسان؛ فإن للزواج غايات أخر منها؛ الإحصان والاستقرار النفسى والاجتماعى وتكوين الأسرة التى هى نواة المجتمع، وقد تشترك فى هذه الغايات المجتمعات المسلمة وغير المسلمة؛ لكنها أكثر وضوحًا فى الأمة الإسلامية؛ فالأسرة فى الإسلام هى الأساس، وما خلا ذلك فهو الاستثناء على عكس المجتمعات غير المسلمة؛ التى نجد فيها أن التفكك الأسرى هو السائد والأسر المتماسكة هى الحالات الفردية.

والزواج فى ديننا الحنيف، ونعنى به: الزواج القائم على كتاب الله وسنة رسوله وعلى معرفة كل من الزوجين بما له من حقوق وما عليه من واجبات له أهداف كثيرة وجميلة فوق ما ذكرناه؛ فهو قائم على المودة والرحمة وأن يكون كل من الزوجين سكنًا للآخر ووعودًا له على طاعة الله تبارك وتعالى.

وأن يتنغمي كل منهما وجه الله فى معاملته للآخر، وأن يتعاونوا فى تربية أبنائهما على الدين والأخلاق والعلم؛ حتى يكونوا صالحين مصلحين عابدين لله -عز وجل- رافعين لراية الإسلام ناصرين لدين الله -عز وجل- وإذا نشأ الأبناء على الصلاح، فإنهم لا بد وأن يكونوا بارين بأبائهم وأمهاتهم فى الحياة وبعد الممات.

وإذا غدت الأسرة على ذلك الحال تحت مظلة الإسلام العظيم صلح بصلاحها المجتمع كله، وقد يقول قائل: إن الأبناء قد يصبحون نعمة، وذلك إن كانوا منحرفين عاقين فاسدين، فنقول: من وجد ذلك من أبنائه فليسأل نفسه أى تقصير كان منه فى حق ربه -عز وجل- وأى معصية كانت سببًا فى ذلك وهل كان بارًا

بوالديه؟ فإن وجد من ذلك شيئاً فليصلح نفسه ويستغفر ربه، وإن كان من أهل الإيمان والبر؛ فليعلم أن ذلك اختبار وابتلاء من ربه وليصبر وليحتسب، وليسع في إصلاحهم ما استطاع لذلك سبيلاً.

وكذلك الحال بالنسبة للزوج والزوجة فإن المعاصي تزيل النعم كما سبق ذكر ذلك، فعلى كل منا أن يتقى الله ويحمده على هذه النعمة العظيمة، وأن يجعل من حياته مع أهله وأبنائه عبادة يتقرب بها لمولاه - عز وجل - لأنه لو فعل فذلك يكون من شكر تلك النعمة، والشكر يجلب المزيد من الصلاح والبركة والحياة الطيبة.

إذن فالزوج والأبناء يستطيع المرء بهما أن يكون بين شطري الإيمان؛ وهما الشكر والصبر؛ فإن رزق الزوجة الصالحة والأبناء البارين الصالحين كان من الشاكرين، وإن ابتلى بأبناء عاقين فاسقين أو زوجة سيئة الخلق، أو ابتليت المرأة بزواج على غير دين وخلق كان ذلك لأهل الفطنة باباً عظيماً للصبر والاحتساب والثواب العظيم من الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤]

### نعمة الصحبة الصالحة

إذا أراد الله - تعالى - بعبده المؤمن خيراً هياً له أسباب ذلك الخير، ومن تلك الأسباب أن يمن الله على عبده بالصحبة الصالحة التي تعينه على طاعة ربه؛ وللصحبة صور عدة ليست قاصرة على الأصدقاء أو الأخوة المقربين؛ ولكنها يمكن أن تكون في أشكال كثيرة منها:

١- الزوجة: فالزوجة الصالحة صورة من صور الصحبة الصالحة فهي ترافق زوجها طيلة فترة زواجها؛ التي قد تمتد إلى عشرات السنين، وقد سماها الله -عز وجل- صاحبة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس ٣٦] وحينما يرزق المرء بالزوجة الصالحة أو ترزق المرأة بالزوج الصالح فإن ذلك يكون سبباً مباشراً من أسباب العون على طاعة الله عز وجل.

٢- رفقاء العمل: فالإنسان قد يقضى في عمله جل وقته، وربما يزيد وقت عمله عن وقت تواجده بين أهله وأبنائه، ولا شك أن الصحبة المحيطة في العمل يكون لها تأثير عظيم على المرء سواءً بالإيجاب أو بالسلب، فعلى الإنسان أن يتحرى البيئة التي تساعد على طاعة الله والرفقاء الذين إذا رآهم ذكر الله سبحانه.

٣- الوالدان: فالوالدان: هما الصحبة الأولى للإنسان حين يأتي إلى الدنيا وصلاحهما يعود عليه بالخير الكثير: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف ٨٢]

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان ١٥]

فَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِصُحْبَةِ وَالِدَيْنَا وَبِرْهَمَا، فَهَمَا أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا كَمَا قَالَ ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ (١): «أُمُّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

ومفهوم الصحبة الصالحة بالنسبة للوالدين يختلف قليلاً عما سواه من صور الصحبة؛ لأن الأمر بالنسبة للوالدين خير كله، فإن كان الأب صالحاً أو كانت الأم صالحة كان لذلك الصلاح مردود طيب على الأبناء؛ لأن تأثير الوالدين مباشر على أبنائهم فيعود ذلك بالخير على الأبناء، ذلك بأنهم يحيون في مناخ صالح يعينهم على طاعة الله.

وإن كانت الأم أو الأب أو كلاهما على غير ذلك فإن المسلم مأمور بحسن مصاحبتهم في الدنيا وأن يبرهما كأحسن ما يكون البر؛ فيما لا يغضب الله عز وجل، فإن فعل كان خيراً له عند ربه؛ فصحبة الأبوين مطلوبة في كل الأحوال، ولا تترك لأى سبب؛ حتى الشرك بالله كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان ١٥] في حين أن المرء عليه أن يترك ما دون ذلك من أشكال الصحبة السيئة التي تبعده عن ربه، كما أن المسلم يؤجر على صحبته لوالديه إن كانا على غير صلاح؛ لأن في ذلك استجابة وإجابة لأمر الله عز وجل.

(١) متفق عليه البخارى ٥٩٧١ مسلم ٢٥٤٨.

٤- صحبة العلماء وأهل الفضل: ففي ذلك خير عميم للمسلم؛ فصحة أهل العلم وأهل الفضل فيها فوائد عظيمة، فهي تجعل الإنسان يقترب من ربه ويعرفه حق المعرفة فيورث ذلك في نفسه الخشية والتقوى والذلة لله - عز وجل - كما أن صحبتهم تجعل المؤمن يعبد ربه عن علم ودراية وعلى المنهج الصحيح، وتجعله أكثر بعداً عن البدع والخرافات، وتكون تلك الصحبة سياجاً من مكاييد الشيطان وسبيلاً له لذكر الرحمن، وإن كان في مجالسهم كان في روضة من رياض الجنة كما أخبرنا المصطفى.

٥- الأصدقاء: ومنهم من يكون في المدرسة أو الجامعة، ومنهم من تأتي صداقتهم من خلال أماكن التقاء عامة كالنوادي والمكتبات، ومنهم من يرتبطون بحكم الجوار إلى غير ذلك من صور الصداقة المعروفة والصديق يكون مقرباً لصديقه يعلم من أمره ما قد لا يعلمه والداه أو إخوته، والإنسان قد يستمع لصديقه ويأخذ برأيه ومشورته أكثر من أي إنسان آخر.

ولذلك يكون تأثيره كبير جداً؛ فإن كان صالحاً أخذ بيده إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وإن كان غير ذلك جره معه إلى طريق الهلاك، وما يحدث في عصرنا من مأس بسبب رفقاء السوء لا يخفى على أحد.

وحسبنا في كلام النبي ﷺ<sup>(١)</sup>: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمَسْكِ وَتَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تُبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَتَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.

(١) متفق عليه: البخاري ٥٥٣٤، مسلم ٢٦٢٨.

فعلى من رزقه الله الصحبة الصالحة في أى من جوانب حياته أن يحمد الله - عز وجل - على هذه النعمة الجليلة التي تأخذ بيده إلى سبيل ربه، وتحقق له الحياة الطيبة في دنياه والفوز في آخراه.

### نعمة العافية

النبي ﷺ كان يداوم على سؤال ربه - سبحانه وتعالى - أن يرزقه العافية، وأوصى أمته بذلك حين قال <sup>(١)</sup>: سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ وَالْبِرِّ فَإِنَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ وَالْفُجُورَ فَإِنَّهُمَا فِي النَّارِ.

وكان يقول ﷺ - أيضاً - حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ <sup>(٢)</sup>: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي.

وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية تلك النعمة العظيمة وأنه لا غنى لأي إنسان عنها.

والعافية لا تكون للأبدان فقط، ولكنها عافية الأبدان وعافية القلوب والأرواح وعافية الدين والأهل والمال كما ورد في الحديث وخيرها يشمل الدنيا والآخرة.

(١) الترمذي (٥ / ٥٧٦) رقم ٣٥٩٤. وقال حسن.

(٢) أبو داود ٥٠٧٤؛ صحيح الجامع ٣٦٣١.

فعافية الأبدان تمام سلامتها ونقاؤها من الأسقام، وعافية القلوب والأرواح طهرها وخلوها من الشرك والحقد والسخط والرياء والكذب والجزع وغير ذلك من الأمراض المهلكة.

وعافية الدين تكون في إخلاصه لله - عز وجل - والقيام بحقه وتنقية العقيدة مما يشوبها، وعافية الدنيا أن تكون بين يدي المؤمن يزرع فيها ما يبلغه جنة ربه ولا تكون في قلبه فتشغله عما خلقه من أجله.

وعافية المال أن يكتسبه المرء من حلال وينفقه في سبيل الخير وألا يطغى به أو يرائى وأن يؤدي شكره.

وعافية الأهل أن يكونوا عونًا على الطاعة صالحين مصلحين.

فمن رزق العافية وجب عليه الشكر ومن حرم شيئًا منها فعليه بالصبر، وليسأل الله من فضله، وليستعن بنعمة العافية التي وهبها له ربه على طاعته، وليعتبر بأهل الابتلاء، وليدع لهم من قلبه أن يرزقهم الله العافية فهي نعمة لا يدرك قدرها إلا من فقدها.

### نعمة الألم

الألم الذي يتعامل البعض منا معه على أنه ضرب من العذاب هو في حقيقة الأمر من أجل نعم الله علينا، وقد يستغرب البعض ذلك خاصة ممن يتعاملون مع الأشياء بظاهرها فقط دون التأمل فيما تحويه من معانٍ خفية وحكم ربانية.

فالأم بداية فيه دليل على الحياة؛ فالحي فقط هو من يشعر بالألم؛ فإن فقد الشعور بالألم فهو لا -محالة- ميت والألم قد يكون للبدن وقد يكون للروح والقلب والأخير أشد.

مَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِحَرْحِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ

أما آلام البدن على اختلاف أشكالها هي في حقيقتها رحمة من الله بعباده، فلولا الألم ما عرفنا مكان الداء ولا سعينا للتداوى منه بما يسر الله لنا من سبل ذلك، ولظل المرض كامناً في أجسادنا ينتشر ويتسع ضرره؛ حتى يقضى على المرء دون أن يدري، كما أن الألم يجعل العبد في الغالب يتقرب إلى ربه ويعيد حساباته مع خالقه ومع الناس من حوله، وقد يكون سبباً للتوبة والرجوع إلى صراط الله المستقيم، كما أنه يكفر سيئات العبد ويرفع درجته إن كان من الصابرين على البلاء؛ فالنبي أخبرنا بذلك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

وأما آلام الروح والقلب فهي كذلك نعمة كبيرة؛ لأن فيها دلالة واضحة على أن تلك الروح وذلك القلب لا تزال الحياة تدب بهما؛ فالإنسان حين يتألم ويحزن قلبه إذا اقترب ذنباً أو قصر في واجبه نحو ربه أو حين تنتهك حرمة الله -عز

وجل - وحدوده فتلك علامة من علامات سلامة القلب وحياة الروح وذلك ما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن.

أما حين لا يتأثر القلب بشيء من ذلك ولا يتحرك له ساكن فليعلم صاحبه أنه ميت، وإن كان محسوباً على الأحياء، وليسع لإصلاح نفسه قبل فوات الأوان.

### نعمة الستر

الله - سبحانه وتعالى - من صفاته أنه ستر يغمر العباد بستره الجميل، وما أعظمها من نعمة أن يعيش العبد في ستر ربه - عز وجل - فلولا ستر الله علينا لكنا من الهالكين، فمن منا لا يذنب ومن منا لا يقع في المعاصي بجهل أو عمد؟ الإجابة: لا أحد؛ فالنبي أخبرنا أن كل ابن آدم خطاء، ولا

معصوم إلا من عصمه الله - عز وجل - من الأنبياء والمرسلين.

لذلك كان العبد - دائماً - في حاجة ملحة إلى ستر مولاه - تبارك وتعالى - اللطيف الخليم؛ الذي يرى عباده يذنبون ويخطئون وبرغم ذلك يسترهم فلا يفضحهم بين خلقه؛ لعلهم يرجعون إلى طريق الحق ويتوبون إلى خالقهم.

فالعبد قد يكون فيه الكثير من الخير، ولكنه يزل أحياناً أو يصبه شيء من الغفلة أو الضعف البشرى أو الجهل، فيقع في الذنب، ولو أن الله - عز وجل - حينئذ فضحه بين الخلائق فكيف تكون حاله؟.

إنه قد لا يستطيع أن يكمل حياته بشكل كريم، وقد لا يستطيع أن ينظر في عيون من حوله، وقد تضيع هيئته إن كان من أصحاب المكانة كما يمكن أن يحول ذلك بينه وبين التوبة إن كان في نفسه ضعف؛ حتى وإن تاب إلى ربه وتقبل الله

منه تلك التوبة وغفر له فقد لا يغفر له الناس، وسيظل ذنبه يطارده ربما حتى الموت، ولكن الله حين يستره يبين خلقه لعلمه - سبحانه - بأنه عائد إليه فإن زلته أو ذنبه يكون بينه وبين ربه العليم الغفور الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن سيئاتهم.

والستر لا يكون فى الدنيا فحسب؛ بل إن أعظم الستر ما يكون فى الآخرة حين يجتمع الخلق كلهم فى صعيد واحد، وتعرض الأعمال وينصب ميزان الحق والعدل؛ حينها يتجلى ستر الله على عباده المؤمنين الذين قدموا لأنفسهم فى الدنيا من الخير ما يجعلهم ينعمون بستر الله فى الآخرة وأكرم بتلك النعمة العظيمة يوم يقوم الأشهداد، ويفضح أمر الكفار والمشركين والمفسدين فى الأرض.

والنبي ﷺ يقول<sup>(١)</sup>: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

فالمؤمن الذى يستر أخاه المؤمن فى الدنيا يكون ذلك سبباً؛ لأن يستره الله فى الآخرة؛ فالجزاء من جنس العمل، فالمسلم يجب عليه إن رأى من أخيه ذنباً أو كبوة أو أمراً يجب ألا يطلع عليه أحد من الناس؛ فعليه ألا يذيع ذلك بين الناس وأن يستر أخاه ويذكره بربه فذلك خلق المؤمن الحق.

(١) متفق عليه البخارى ٢٤٤٢، مسلم ٢٥٨٠.

وربما كان ذلك الفعل سبباً في رجوع المذنب عن ذنبه أو تجاوز المتعثر لعثرته أو كان ذلك فيه حل لمشكلة ما يمر بها، إلى جانب أن ذلك يشيع الحب والود بين المسلمين.

ومن الناس من يستره الله - عز وجل - حال الذنب؛ ولكنه بحمقه يأبى إلا أن يكشف ستر الله عليه كما أخبرنا الصادق المصدوق عليه السلام حين قال من حديث أبي هريرة رضي الله عنه<sup>(١)</sup>: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ».

#### نعم الله - عز وجل - على عباده في الكون

نعم الله - سبحانه وتعالى - في الكون من حولنا كثيرة لا يمكننا حصرها؛ وهي واضحة جلية لا يستطيع صاحب عقل سليم أن ينكرها ولم يدع أحد على مر التاريخ مهما بلغ من الكفر والجحود أنه يمتلكها أو أنه خالق أيها منها لعظمة تلك النعم وإبداع الخالق العظيم في صنعها.

ولو تحدثنا عن تلك النعم للزمنا لذلك آلاف الصفحات، ولن تفي بجزء يسير من قدرها، ولكن سنحاول أن نذكر بشكل مختصر بعض تلك النعم والآيات الكونية من باب التذكرة بعظيم فضل الله علينا.

\* نعمة خلق السموات: فالله - عز وجل - خلق السموات بإتقان يحار فيه العقل وبجمال يأخذ بالأبصار والقلوب؛ فقد رفع السموات بلا عمد وجعلها سقفاً

(١) متفق عليه البخاري ٦٠٦٩، مسلم ٢٩٩٠

مَحْفُوظًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ [الأنبياء ٣٢].

وزينها - سبحانه - للناظرين ونثر فيها النجوم الساحرة؛ التي تحملها وفي الوقت ذاته جعلها رجومًا للشياطين، ليس هذا فحسب بل إنه - عز وجل - جعل تلك النجوم دليلًا وهاديًا يهتدى به المسافر في البر والبحر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملكه ١٦]. وقال: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل ١٦].

والله - سبحانه - هو من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ وهو - عز وجل - يسير حركة الأفلاك والأجرام السماوية بدقة عجيبة منذ الأزل فلا يعترئها خلل، ولا يصيبها كلل.

\* نعمة تمهيد الأرض: قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ ٦]. وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء ٣١].

فالله - تبارك وتعالى - خلق الأرض وجعلها صالحة للحياة عليها؛ فمهدها وجعل لها من الجبال ما يعمل على ثباتها وشق فيها السبل والأهبار، وذلها لعباده ليتيسر لهم العيش عليها، وليبتغوا من فضل الله الذي جعله فيها، وليسعوا في جنباتها؛ طلبًا للرزق بشتى أنواعه، وجعل تحت ثراها نعمًا كثيرة وخيرات وفيرة

وجعل تربتها رحماً يحتضن البذر؛ حتى يصير زرعاً وشجراً ينتفع به الإنسان والحيوان والطيور وسائر المخلوقات.

\* نعمة نزول المطر: فالله - عز وجل - وحده هو منزل الغيث رحمة منه وفضلاً ليس هو القائل سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى ٢٨].

وهو القائل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة ٦٨-٦٩] فالمولى - سبحانه - يترل المطر من السماء؛ ليحيي به الأرض وينبت به الزرع، ويستقي منه الإنسان وما سواه من المخلوقات؛ فالماء أساس كل حياة كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَقَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء ٣٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٠-١١].

فلولا نعمة المطر لهلك الحرث والنسل، ولما قامت أي صورة من صور الحياة على الأرض.

\* نعمة الشمس والقمر والليل والنهار: الشمس والقمر نعمتان من نعم الله، وآيتان عظيمتان من آياته - سبحانه - في الكون لا تخفيان على أحد، ومنذ أن

خلقهما الله - تبارك وتعالى - وهما يسيران على نظام ثابت لا يختل ولا يتغير وتمر عليهما الأعوام والقرون، وهما على تلك الحال من الدقة والاستمرار لم يتخلف منهما شيء، ولم تصبهم الأزمنة الطويلة بالتقادم أو الضعف، فلم يحدث أن استيقظ أهل الأرض يوماً فلم يجدوا الشمس في كبد السماء، ولم يتخلف القمر يوماً عن منازل المقدرة له من ربه مالك الملك، ولم يدرك أي منهما الآخر بل كل يسير بأمر ربه طائعا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس ٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَالْقَمَرَ قَدْرَانَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ \* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس ٣٨ - ٤٠].

ففى خلق الشمس والقمر آية عظيمة وعبرة لأولى الألباب، وكذلك أوضح لنا ربنا أن فيهما من النفع الشيء الكثير؛ فالشمس تضيئ لنا الأرض وتمدها بالدفء والحرارة اللازمة لكل الأحياء كما أن حرارتها هى التى تبخر مياه المحيطات والمسطحات المائية؛ لتتكون السحب التى تحمل المطر إلى شتى بقاع الأرض؛ ليحيى به الله الأرض، وينتفع به كل الخلائق وغير ذلك من المنافع التى لا نعلم منها إلا القليل، والقمر ينير لنا ظلمة الليل وتزدان به السماء، وله دور أساسى فى ظاهرة المد والجزر فى البحار والمحيطات، والشمس والقمر جعلهما الله - عز وجل -

حسباناً لأهل هذه الأرض، فبهما تعرف الأيام وتحسب الشهور والأعوام، بهما يكون الليل والنهار؛ فلولا حركة الشمس التي قدرها الله - سبحانه - لما وجد الليل والنهار.

فتعاقب الليل والنهار آية أخرى من آيات العزيز الحكيم، ونعمة يمن بها على خلقه، ففي تعاقب الليل والنهار حكمة بالغة من رب العالمين، كما قال سبحانه:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [سورة النبأ: ١٠-١١].

فالنهار جعله الله لكسب الرزق والسعي في الأرض وإعمارها، والليل يأتي بعده ليستريح الإنسان ويسكن ليستطيع مواصلة السعي بعد ذلك، والله - عز وجل - يريد من عباده أن يتدبروا ما في ذلك من حكمة وفضل ورحمة منه، وأن يحمده على نعمه فيقول تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧١-٧٣]

\* البحر وما فيه من منافع: قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

فالمولى -عز وجل- سخر لنا البحر بما فيه من فوائد ومنافع ونعم كثيرة؛ فمنه يأكل الناس أنواعاً عديدة من الأسماك والكائنات البحرية، ومنه تستخرج اللآلئ والدرر والأحجار النفيسة التي يتحلى بها البعض وعلى صفحته تسير السفن للسفر والتجارة والنقل؛ كما أن البحر يحوى فى أحشائه صوراً من الحياة عجيبة وبديعة لا يملك من يراها إلا أن يسبح بحمد الخالق البديع.

\* الأنعام: الله - سبحانه وتعالى - خلق الأنعام، وجعلها مسخرة لبنى آدم لينتفعوا بها ويستعينوا بها على حياتهم فى هذه الدنيا؛ حتى يتمكنوا من أداء دورهم الذى خلقهم الله من أجله.

وفى ذلك تكريم كبير لبنى البشر وإحسان من رهم قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ \* وَهُمْ فِيهَا مِنْ مَنَافِعٍ وَمَشَارِبٍ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس ٧١-٧٣].

فالعبد مأمور بالشكر على هذه النعمة، فالله -عز وجل- سخر لنا هذه الأنعام، وجعل لنا فيها منافع عظيمة؛ فمنها طعامنا ومنها ركوبنا، ومنها نشرب لبنًا خالصًا يخرج الله بقدرته من بين فرث ودم، وقبل ذلك كله فإن فيها من الآيات والمنافع ما يجعلنا نسبح بحمد ربنا؛ الذى خلق فسوى، كما أن من شكرنا أن نشكر الله أن كرمنا فوق كل تلك المخلوقات ومنحنا العقل والتمييز والفهم.

نعم الإله على الخلائق ظاهرة	سبحان ربى ذى العطايا الغامرة
رفع السموات الطباق ترونها	فى الليل زينتها النجوم الساهرة
والأرض قد مُدَّت بساطاً للورى	سُبُلًا وأهَّارًا رياضًا ناضرة

لله تسجد في خضوع ذاكرة  
 ما بين أمواج البحور الهادرة  
 في عمرها لم تبد يوماً معذرة  
 ترى من الرب العليم مُقدرة  
 وبأمر باريها تسير مسخرة  
 في دقة لذوي العقول محيرة  
 تجنى الرحيق من المروج الزاهرة  
 ذكرى لأصحاب القلوب المبصرة  
 من بين أحشاء الصخور مفجرة  
 بالغيث من رب العباد مسيرة  
 يهب اليقين لكل نفس حائرة  
 كل لوجهته هداه ويسّره  
 فيا لكفران القلوب المنكرة  
 واسأله أن يعطيك نفساً شاكرة  
 وجزاك خلدًا في نعيم الآخرة

جعل الجبال الشامخات رواسيًا  
 والفلك سخرها تسير بأمره  
 والشمس تشرق بالضياء على الدنا  
 ومنازل القمر المنير ترونها  
 والطير صافات بأفاق السما  
 وتأمل العصفور يبني عشه  
 وانظر جموع النحل ما بين الربا  
 فتحيلها شهدًا بقدره منعم  
 وانظر عيون الماء عذب ماؤها  
 والمزن في كبد السماء بديعة  
 والبحر إن تغشاه تبصر عالمًا  
 فالله أبدعه بقدره خالق  
 والكون كل الكون طوعًا جاءه  
 فاحمد لربك منه وعطاؤه  
 فلئن شكرت الله زادك نعمة

### نعم الله في خلق الإنسان

كان جسم الإنسان ولا يزال يحوى الكثير من الأسرار والإعجاز في الخلق؛  
 الذى يحار فيه عقل اللبيب، وما أجرى من دراسات على ذلك التكوين البديع  
 أكثر من أن يحصى وفي كل يوم يكتشف العلماء إعجازًا أو سرًا لم يكن معروفًا  
 من قبل، وجسم الإنسان كان على مر العصور موضع اهتمام بالغ من العلماء،  
 وأفنى الكثير منهم عمرة في البحث عن أسراره وعجائبه.

ولَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ، فَالإنسَانُ قَدْ خَلَقَهُ اللهُ -عز وجل- بِيَدَيْهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَلَا عَجَبُ أَنْ تَحْوِي هَذِهِ الصَّنِيعَةُ الرِّبَانِيَّةُ عِدَدًا غَيْرَ مَحْدُودٍ، وَمِنَ الأَيَاتِ البَاهِرَاتِ وَالأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا غَيْرُ خَالِقِهَا جَلَّ وَعَلَا.

وعلى العبد أن ينظر في نفسه، ويتأمل فيها ليرى قدرة الله واضحة جلية، وليدرك مدى إكرام الله له وعظيم نعمه عليه والتي لو أمضى حياته كلها يشكر الله -تبارك وتعالى- على واحدة منها ما وسعه ذلك، ومن تلك النعم السمع والبصر والعقل والكلام والحركة وما في أعضائه الداخلية من نظام دقيق محكم وإبداع عجيب لا يكون إلا من رب عليم قدير؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل ٧٨]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار ٦-٨]

فنعم الله في نفس العبد لا تعد، ويجب على المؤمن أن يتأمل خلقه ونعم الله عليه، وأن ينظر في نفسه؛ ليرى ما أعطاه الله من عطايا، وليدرك عظمة خالقه، وليعتبر بأصحاب الابتلاء ممن حرموا بعض هذه النعم؛ ليستشعر ما هو فيه من نعمه؛ فلا يدرك قدر النعمة إلا من يفقدها، فالإنسان -عادة- يألف ما هو عليه من عافية، ولا يشعر بقيمتها الكبيرة، وقد لا يخطر بباله التفكير فيها على كونها نعمة تستوجب الشكر؛ فهو يعيش في الدنيا يأكل ويشرب يسمع ويبصر، يمشي

ويفكر، يتكلم وينام إلى غير ذلك، وهو لا يدرك أن كل ما هو عليه من نعم ربه هو من وهبها وهو وحده القادر على أن يترعها منه.

فعلى كلِّ منَّا إن أراد أن يعلم ما هو فيه من نعم أن ينظر إلى من ابتلاهم الله بفقد بعض تلك النعم؛ فلننظر إلى فاقدى البصر؛ حتى نعرف قدر نعمة الإبصار، وللنظر إلى الأصم لندرك نعمة السمع ولنتأمل حال الأبكم حتى نشعر بنعمة البيان، وكذلك كل صاحب مرض أو بلية.

وليكن تأملنا مدعاة لنا؛ لتتقى الله في تلك النعم ولا نجترئ بها على محارم الله - عز وجل - ولنعلم أن جوارحنا سوف تشهد علينا بين يدي الله يوم القيامة كما قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت ٢٠]

فعلينا أن نحمد الله - سبحانه وتعالى - على تلك النعم العظيمة، وليكن شكرنا لها أن نتقى الله فيها، وأن نستعملها في مرضاته وإن ابتلى أحد بفقد واحدة أو أكثر من تلك النعم فليصبر وليحتسب؛ وإن كان من ذوى المهمة العالية فعليه أن يشكر الله عند الابتلاء؛ ليقينه في حكمة الله - عز وجل - التي قد تخفى على الكثيرين؛ فلعل الابتلاء يكون كفارة لذنوبه أو رفعا لدرجته أو سببا في رجوعه إلى ربه.

وصدق رسول الله حين قال ﷺ (١): «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَسَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَّاءُ شَكَرٍ فَكَانَ خَيْرًا لَسَهُ، وَإِنْ أَصَابَتُهُ ضَرَّاءُ صَبْرٍ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

### نعمة الشكر

إن كنا قد تحدثنا عن جانب من نعم الله - سبحانه وتعالى - علينا؛ والتي يجب على المؤمن أن يتأملها ويستشعرها ويعترف بها وبكونها هبة من الله وحده المتفضل على عباده بما هو أهله - سبحانه - فالغاية الكبرى من تذكّر النعم هي تحقيق الشكر لله على ما أعطى ووهب.

وهكذا الشكر لا يتأتى إلا بتوفيق الله؛ فالشكر في حد ذاته نعمة من الله تستوجب الشكر.

فالعبد يتقلب في نعم مولاه - تبارك وتعالى - فهو يرزق النعمة من المنعم - سبحانه - ثم يرزقه شكرها، فيكون ذلك الشكر نعمة أخرى يشكر عليها، وهكذا لا تنقطع النعم بل تتوالى؛ ليحيا العبد المؤمن في سلسلة من نعم الله عليه ما بين شكر النعمة ونعمة الشكر.

فعلى العبد المؤمن أن يكون على يقين كامل أن الله - سبحانه - هو المنعم الذي يرزق عباده شكر نعمه، ويوفّقهم إلى سُبُلِهِ؛ حتى أن المرء حين يرى نعمة ربه فيلهج لسانه بكلمة: (الحمد لله) فليعلم أنها رزق ساقه الله إليه، ومنه من ربه،

(١) (صحيح): أحمد ١٨٤٥٥، مسلم ٢٩٩٩.

تضاف إلى عموم نعمه ومننه، ولو لم يرد الله -عز وجل- أن ينطق بمجرد كلمة الحمد لما استطاع أن يتلفظ بها مهما اجتهد في ذلك؛ لأنه في النهاية ملك الخالقه وعبد لا يملك من أمره شيء إلا ما شاء الله.

فاللهم ارزقنا شكر نعمتك، وارزقنا الشكر على توفيقك لنا حتى نشكرك عليها، فأمرنا كله إليك، وقلوبنا بين يديك، فلا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يا رب العالمين.